جامعة محمد بوضياف. المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 07075120998

العنوان:

منطقة واد ميزاب من خلال آثار أحمد توفيق المدني

1518_1830م

مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:

– صابرينة يحياوي

إشراف الأستاذ:

د / إسماعيل تاحي

إسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ.د عمر بوضربة	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	رئيسا
د.اسماعيل تاحي	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	مشرفا ومقررا
أ.د عبد الحميد عمران	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1446–1447هـ الموافق ل 2025–2026م

شكر وعرفان

حاولوا إطفاء شغفي بقولهم إن طريقك مستحيل، فتبسمت بثقة وقلت بل هو صعب، وما خلقت الصعاب إلا لتروضها الإرادة والإصرار ولأن يقيني بالله كان اقوى من كل خذلان.

الحمد لله الذي أنار بالعلم البصائر وَمَنَّ على عباده بالتوفيق والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى معلم البشرية.

في ختام هذه الرحلة العلمية الشاقة والممتعة وأنا أقف على عتبة جنّي الثمار ينبض قلبي بفيض من الامتنان والعرفان الذي خانتني الحروف في سرده لمن كانوا خلف هذا الجهد خطوة بخطوة.

-الى نفسي أولا وأخيرا إلى **صابرينة** التي قاومت وتحدت وصبرت ليالي طوال شكرا لثباتك وكفاحك ولأنك لم تنحني أمام عثرات الطريق وأولئك الذين حاولوا إيقافك ولم ينجحوا وآمنتي بنفسك.

-إلى السند الذي لا يميل والقلب الذي لولا نبضه ودعواته في جوف الليل لما تقدمت خطوة من حاربت الدنيا لتصنع مني امرأة صامدة نبع الحـــــنان أمي" **الحاجة عائشة**."

-أتقدم بجزيل وعظيم الامتنان إلى مديري "**ثامر بن علية**" لأنه من شجعني على التسجيل في الماستر والمضي قدما نحو طموح العلم.

-أتقـــدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكـــتور الفاضل "**اسماعيل تاحي**" الذي منحني عنوان المذكرة ووضع اللبنة الأولى لهذا البحث وكل ما قدمه لي.

وأخيرا اللجنة الموقرة أتوجه ببالغ العرفان والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول قراءة هذه المذكرة وتقويمها وكل أساتذة قسم التاريخ.

الإهـــــــداء

قال تعالى:

{واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا}

سورة الاسراء – الآية 24.

إلى من أدين لها بنجاحي أمي الحبيبة التي ربتني بمفردها وغرست فيا الطموح وتحملت عناء السنين لتصنع مني ما أنا عليه اليوم إليك يا جنتي ونبض قلبي.

إلى روح والدي رحمه الله وغفر له وتجاوز عنه برغم أقدار الفراق وظروف الحياة يبقى ذكره حاضرا في قلبي ودعائي أسال الله أن يرحمه برحمته الواسعة.

إلى الروح الطاهرة التي غادرتنا الى بارئها جدتي الغالية "الحاجة فريحة" رحمها الله التي شاركت في تربيتي واحتضنت طفولتي بحنانها نامي قريرة العين يا حبيبتي فغرسك قد أثمر اليوم.

إلى طير الجنة الراحل ابنتي الغالية المتوفاة "عائشة إكرام "التي غادرت جسدا وبقيت في الروح غصة وحنينا ذكراك طيفا لا يغيب.

إلى ابنتي الغالية قطعة السكر ونور عيني وجنتي الصغيرة" زينب هبة الرحمان" والتي كانت هبة من الله انت الطهر الذي يغسل تعب الأيام والأمل الذي أعيش لأجله.

الى زوجي وأولادي محمد ابراهيم، محمد اسامة، محمد فادي عبد الرحمان، سندي وعزوتي أرجو ان أكون لكم قدوة في الصبر والكفاح.

الى إخوتي خير الدين، كمال، والأخضر، إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد والتعب.



توقيع: صابرينة يحياوي

قائمة المختصرات

- ص: الصفحة
- ج: الجزء
- ط: الطبعة
- تح: تحقيق
- تق: تقديم
- PAGE :P
- م: ميلادي
- هـ: هجري
- ط خ: طبعة خاصة
- د ط: دون طبعة
- ت ر: ترجمة

مقدمة

مقدمة:

تعاقبت على أرض الجزائر حضارات إنسانية عريقة صهرت هويتها وثقافتها المتميزة فمنذ العصور القديمة والحضارات النوميدية، الفينيقية، الرومانية وصولا الى الفتح الاسلامي الذي شكل المنعطف الأبرز في رسم معالم الشخصية الحضارية والروحية للمنطقة وتوجت بإسهامات الدول الاسلامية المستقلة والموحدة كالدولة الرسمية، والحمادية، والزيانية، وصولاً إلى انضوائها تحت مظلة الخلافة العثمانية (1518-1830م) واصبحت إيالة وهي الفترة التي تشكلت فيها معالم الدولة الجزائرية الحديثة بحدودها الجغرافية والسياسية الحالية

وبرزت كقوة بحرية وسياسية مهابة في حوض البحر الأبيض المتوسط. وشهدت تنظيما اداريا، وعسكريا، واقتصاديا فريدا، الى جانب حركية علمية وفكريه وثقافيه ربطت الحواضر الكبرى بالقرى الداخلية.

وفي قلب هذا الامتداد الحضاري، وتحت مظلة الدولة الجزائرية في العهد العثماني 1518م إلى غاية الدخول الفرنسي 1830م، برزت منطقة وادي ميزاب كواحدة من أهم الحواضر العامة والمتميزة بنظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. فرغم وعورة طبيعتها الجغرافية الصحراوية وقسوتها، استطاع المجتمع المزابي بناء حواضر عمرانية مميزة (القصور السبعة) واقتصاد شبكي متطور قائم على التجارة وإدارة الواحات.

حافظت منطقة ميزاب على خصوصيتها المذهبية والاجتماعية من خلال مؤسساتها العرفية والدينية (وعلى رأسها مجلس العزابة).

شكلت الصحراء الجزائرية عبر العصور حواضن حضارية وثقافية متميزة مزجت بين عبقرية الإنسان في مواجهة قسوة الطبيعة وقدرته على خلق نظم اجتماعيه وسياسيه واقتصاديه وهذا ما جعل تاريخ الجزائر يحظى باهتمام الكثير من المؤرخين والرواد وخاصة في الفترة العثمانية ويبرز في طليعتهم المؤرخ والمجاهد العلامة أحمد توفيق المدني (1899-1983م).

الذي يعد من ركائز المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية وقد تميزت كتابات المدني خاصة في مؤلفاته المرجعية مثل: "كتاب الجزائر" وكتاب" محمد عثمان باشا داي الجزائر "بمحاولة إعادة كتابة التاريخ الوطني برؤيه جزائرية خالصة تتجاوز الأطروحات الفرنسية.

ومن هذا المنطلق افرد توفيق المدني حيزا معتبرا لمنطقة واد ميزاب مسلطا الضوء على أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكيفية تموقعها داخل البناء العام للإيالة الجزائرية.

وفي هذا وفي هذا الإطار جاءت مذكرتي تحت عنوان منطقة وادي ميزاب من خلال مذكرات أحمد توفيق المدني.

لقد قسمت هذا البحث الى فصل تمهيدي وثلاث فصول حيث كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث باستثناء الفصل الثالث من مبحثين.

في الفصل التمهيدي التعريف بأحمد توفيق المدني، أما الفصل الأول فقد كان عن الإطار الجغرافي والتاريخي لوادي ميزاب، والفصل الثاني مخصص لمنطقة واد ميزاب خلال العهد العثماني، وتناولت في الفصل الثالث واد ميزاب من خلال ما صوره احمد توفيق المدني في كتاباته مع تقديم نقد وتحليل لأحمد المدني.

- **الاشكالية:**

بناء على ما سبق يتضح أن دراسة منطقة وادي ميزاب لا تقتصر على رصد معطياتها الجغرافية والتاريخية كحالة معزولة، بل تتعدى ذلك إلى فهم الخيوط الخفية التي ربطت بين عبقرية المكان، وصلابة النظام الاجتماعي "لحلقة عزابه"، والاقتصادي التي منحت المنطقة استقلالها المحلي خلال العهد العثماني، وإن محاولة تتبع هذا النظام من خلال عينِ مؤرخٍ ومصلحٍ بحجم أحمد توفيق المدني، تفرض علينا الانتقال من مجرد السرد التاريخي إلى مرحلة التفكيك والنقد لصور ومضامين كتاباته.

لذلك، ومن أجل الإحاطة بجميع أبعاد هذا التداخل بين الواقع التاريخي للمنطقة وطريقة تمثله في الفكر الإصلاحي الحديث

وعليه تتمحور إشكالية هذه المذكرة حول التساؤل الجوهري التالي:

كيف تشكلت البنية التاريخية والسياسية لمجتمع وادي مزاب في العهد العثماني، وكيف قُرئت وحُللت من خلال مدونة أحمد توفيق المدني؟

تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من الأسئلة الفرعية المقاربة للموضوع، كالتالي:

- **كيف أسس الموقع الجغرافي والنشأة التاريخية واد ميزاب لظهور نظام "حلقة العزابة"؟**
- **ما هي طبيعة العلاقة السياسية والاقتصادية (الفلاحة والتجارة) لمنطقة واد ميزاب مع السلطة العثمانية؟**
- **كيف قارب المؤرخ أحمد توفيق المدني تاريخ وبنية بني مزاب بالتحليل والنقد في كتاباته؟**

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

تناولت عدة دراسات تاريخية وطنية موضوع واد ميزاب وتأتي في مقدمتها كتابات المؤرخ والمفكر الجزائري أحمد توفيق المدني لا سيما في مؤلفيه المرجعيين " كتاب الجزائر" (1931م) و"حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا "حيث ركز الباحث في أطروحته طروحاته في طروحاته على طبيعة الروابط السياسية والاقتصادية التي جمعت اقليم واد مزاب بالسلطة العثمانية في الشمال وخلصت الدراسات إلى أن منطقة ميزاب تعد أول منطقة صحراوية ترتبط بالإيالة الجزائرية الحديثة بصفة طوعية ومبكرة كما تحدث عن النظام الضريبي والدعم لدهر الهجمات الأوروبية الصليبية على السواحل الجزائرية واعتمد في كتابه

في كتابه هذه المؤلفات على وثائق الدفتر الخاقاني ومراسلات ديوان ايالة الجزائر هذه الدراسات لم تربط بشكل كاف بين ميزاب والعهد العثماني في إطار تحليلي شامل ومن المراجع الهامة التي أفادتني في مختلف فصول البحث.

احمد توفيق المدني: "**كتاب الجزائر**" افادني في الخلفية الجغرافية والسياسية والاجتماعية التي بنى عليها المدني رؤيته لوادي ميزاب كتاب "**حياه كفاح**" افادني في سيره المدني ومصادره التاريخية.

كتاب اعوشت بكير بن سعيد "**واد ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية**" افادني في تتبع الجذور التاريخية لعلاقه ميزاب بالسلطة المركزية، ويركز على كيفية اندماج وادي ميزاب في الفضاء الاسلامي العام وعلاقته بالدول المجاورة.

النوري حمو محمد عيسى "**دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**" الجزء الاول يركز على العلاقة بين ميزاب والوطن الام والجزائر وعلاقتهم بالايالة في العهد العثماني.

دبوز محمد علي "**نهضه الجزائر وثورتها المباركة**" الجزء الاول يتحدثني في التحدث عن المساجد والقصور وارتباطهم بالهوية الاسلامية ايضا في عقد مقارنه فكريه بين المدني كصله وصل بين الشمال والجنوب وبين المؤرخين المحليين للمنطقة.

بن بكير يوسف الحاج سعيد "**تاريخ من بني مزاب**" دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية افادني في تفاصيل دقيقه عن البنية الداخلية للمجتمع الميزابي التجارة العرف النظام الاجتماعي.

بلحاج معروف "**العمارة الدينية الاباضية بمنطقه واد ميزاب من خلال بعض النماذج**" افادتني هذه المذكرة في ابراز كيف تعكس الاثار والعمارة عن المساجد والقصور استقرار المنطقة وارتباطها بالهوية الاسلامية للجزائر.

- **دوافع الاختيار:**

إن دراسة تاريخ الجزائر الفكري والحضاري يعد مسعى علمي بالغ الأهمية، وقد ارتبط اختياري لموضوع منطقة وادي ميزاب من خلال مذكرات أحمد توفيق المدني بجملة من الدوافع الموضوعية والذاتية التي أوجزها فيما يلي:

الدوافع الموضوعية (العلمية):

- لاحظت وجود شح في الدراسات الأكاديمية نحو مجتمعات الواحات والجنوب ومن هنا تبرز أهمية رصد مكانة وادي ميزاب في فكر أحد أعمدة النخبة الإصلاحية .
- إبراز الخصوصية التاريخية والاجتماعية والثقافية الفريدة لمنطقة واد ميزاب وتبيان عمق وإسهامها الحضاري في النسيج الوطني الجزائري عبر العصور.
- الرغبة في إخراج كتابات أحمد توفيق المدني من دائرة القراءة السطحية إلى دائرة الفحص المنهجي الدقيق لمعرفة كيف دافع عن هوية منطقة وادي ميزاب

- **الدوافع الذاتية:**

عندما طرح الأستاذ المشرف هذا العنوان لم أقف عنده موقف المتلقي السلبي بل اثار في نفس فضولا معرفيا وشغفا بضرورة خذ هذا التحدي خاصة واني كنت ابحث عن موضوع يجمع بين عبقرية المكان وموسوعية المفكر توفيق المدني

الرغبة الشديدة في صقل ادوات البحثية كطالبة ماستر من خلال التعامل مع نصوص مركبة وممارسة النقد الداخلي والخارجي شهادات وكتابات المدني وهو ما يمثل متعة علمية وتحدي أكاديمي أطمح للتميز فيه.

- **الصعوبات:**

البحث في موضوع واد ميزاب وضعني أمام مجموعة من الصعوبات التي استلزمت جهدا وتحليلا مضاعفا من بينها:

- أن المدني في مؤلفاته خاصة" كتاب الجزائر" دمج تاريخ الإقليم الجنوبي ضمن تاريخ إيالات الجزائر دون إفراد فصول مستقلة مما جعل المادة التاريخية المتعلقة بالمنطقة شحيحة تتطلب بحثا مضاعفا بين السطور.
- واجهتني صعوبة منهجية في الموازنة بين ما طرحه المدني حيث ركز على التبعية الاسمية لوادي ميزاب، مثل دفع الالتزامات السنوية وبين الروايات المحلية التي تؤكد الاستقلال الذاتي للمنطقة وإدارتها عبر مجالس العزابة.
- قلة المصادر المباشرة حول المنطقة وندرة الوثائق العثمانية الخاصة بوادي ميزاب والاعتماد على مصادر وصفية أكثر من تحليلية.
- صعوبة الوصول إلى بعض المراجع.
- **المنهج المتبع:**

لتحقيق أهداف هذا البحث اعتمدت على ثلاث مناهج:

- أولا: المنهج التاريخي لاستقصاء المادة التاريخية المتعلقة بالمنطقة عبر مدونات المدني وإخضاعها للنقد الداخلي والخارجي.
- ثانيا: المنهج التحليلي لتفكيك نصوص الكاتب وفهم أبعادها السياسية والاجتماعية واظهار نظرة المؤلف لعلاقة المنطقة بالسلطة.
- وأخيرا: المنهج المقارن لمطابقة رواية المدني مع ما كتبه مؤرخو ميزاب المحليين لضمان الموضوعية ومعرفة الإضافة العلمية الجديدة التي قدمها في كتاباته.

وفي نهاية هذه المقدمة، تقتضي الأمانة العلمية أن أتقدم بعبارات الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف [الدكتور إسماعيل تاحي] صاحب الفضل في اختيار هذا الموضوع وتحديد معالمه الأولى، والذي فتح لي آفاق الدراسة في هذا الموضوع، فجزاه الله خيرا" كما أعتز بهذه التجربة البحثية التي خضتها بجهد شخصي مستنيره بالخطوط العريضة التي رسمها لي في البداية.

الفصل التمهيدي

التعريف بأحمد توفيق المدني

1- النشأة والتكوين العلمي

2- وفاته

3- مؤلفاته

تمهيد:

تكمن أهمية التعريف بالمدني في كونه يمثل الجسر الرابط بين العمل السياسي والحفر التاريخي، فمن خلال انخراطه المبكر في الحركة الوطنية، وعضويته الفاعلة في 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين'، ثم تقلده لمناصب سياسية رفيعة في الثورة وبعد الاستقلال، صاغ المدني رؤية تاريخية تهدف إلى إعادة الاعتبار للشخصية الجزائرية التي حاول الاستعمار طمسها.

سنحاول في هذا المبحث الإحاطة بسيرته، من خلال تتبع محطات نشأته، وتكوينه العلمي، وأدواره السياسية، مع التركيز بشكل خاص على منهجه التاريخي الذي جعل من مناطق الجزائر وعلى رأسها وادي ميزاب شواهد حية على عبقرية الأمة وصمودها، وذلك لفهم الخلفية الفكرية التي انطلق منها في تصويره الدقيق لهذا الإقليم.

يُعد أحمد توفيق المدني ظاهرة فكرية ونضالية فريدة، حيث جمع بين دقة المؤرخ وحماسة السياسي. لفهم تصويره لوادي ميزاب، لا بد أولاً من فهم الخلفية التي شكلت وعيه التاريخي والوطني.

1-النشأة والتكوين العلمي:

1-1-مولده:

ولد أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي، يوم 16 جوان 1899، [1] في احدى الديار العربية التي يرجع عهد بنائها الى العصر الحفصي الاخير، بنهجي الناعورة وهو الطريق الذي يفصل بين نهج البهجة ونهجي التريبونال بتونس[2] من أب جزائري "محمد المدني" وأم جزائرية "عائشة بويراز، له اربعة اخوة ثلاث ذكور هم "الهادي "، "حسن"، "محمد"، "علي" وبنت واحد هي "خديجة"[3]

ويذكر أن تسميته باسم توفيق تعود الى ايام حرب طرابلس 1911م، عند التقائه بالقائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بك" في اجتماع أقامه المختار كاهية ولحيوية المدني وحدة ذكائه رغم صغر سنه استرعى انتباه القائد فسأله عن اسمه ودعاه منذ ذلك الوقت قائلا: أنت أحمد توفيق المدني فاشتهر الاسم[4]

1-2-تعليمه:

تعلم وهو في سن الخامسة من عمره كانت أول محطة تعليمية هي الكتاب ولما بلغ التاسعة كان من القراء الجيدين للصحف التونسية من أشهرها الراشدية المرشد المنير والاتحاد الاسلامي مكنته ثقافته من مجادلة أقرانه في قضايا وهو صغير عنها[5]. في سن

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، طخ، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص31.

[2] الشيخ (ابو عمران)، معجم مشاهير المغاربة الملكية للطباعة والنشر ط،2 2010، الناشر مؤسسة صونيا م، ص 483.

[3] أحمد توفيق (المدني) المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 06.

[4] حق (إحسان): الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1961م، ط1، ص 213.

[5] بوعزة (بوضرساية)، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 337.

العاشرة أي سنة 1909م انتقل الى المدرسة القرآنية فتلقى العلوم الدينية والنحو والصرف والبلاغة والرياضيات والكيمياء والطبيعة وتفسير القرآن ومبادئ اللغة الفرنسية. [1]

وفي 1913م أنهى دراسته بالمدرسة القرآنية كان يعرف بخطيب المدرسة كتبها المبرز كما كان يعطي لزملائه محاضرات[2]، بعدها انتقل للدراسة في جامع الزيتونة الخلدونية والصادقة فدرست العلوم اللغوية والدينية التاريخ والفلسفة والاجتماع[3]، اختار لنفسه مناهج الدراسة الخاصة به في جامع الزيتونة كما ورد في كتابه حياة كفاح الجزء الأول في قوله" فاخترت لنفسي دروسا على حله الأساتذة الشيخ النخل في التفسير والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة والشيخ صادق النفير في الفقه...وكنت الازم الدرس 10 ساعات كل يوم دون انقطاع..."[4]، نشأ أحمد توفيق في وسط عربي مسلم مشبع بروح الثورة والنقمة على الاستعمار. [5]

أسرته على درجه كبيره من العلم والمعرفة كانت امه تعلمه القرآن والحديث وتحذره من مخالطة الأطفال خوفا من أن يتعلم أشياء بذيئة[6]، حيث يذكر في كتابه حياة كفاح الجزء الاول" وما كان حديثها معي الا عن الحرام وهو كل خبيث من القول أو العمل والحلال وهو العمل الصالح الطيب، والجنة التي يرثها عباد الله المتقين..."[7]، أما والده فكان يصطحبه للصلاة[8].

وبعض الدراسات السابقة غفلت عن ذكر العوامل التي ساهمت في التأثير في شخصيته متناسين بعض الأحداث من أهمها البيئة الأسرية في تكوين شخصيته لأن أسرته معروفة بأنها ثورية رافضه للاستعمار وكان مناخ العائلة بمثابة المدرسة الأولى التي جعلت

---

[1] المسعود(كواتي) تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى، دط، دار هومة، دت، ص 211.

[2] أحمد توفيق (المدني)، حياة كفاح مصدر سابق، ص 94.

[3] الشيخ أبو عمران، المرجع السابق، ص 483.

[4] المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، مصدر سابق، ص ص 94-95.

[5] صالح الصديق (محمد)شخصيات فكرية وأدبية، هذه مواقفنا من ثورة التحرير، دار الأمة للنشر والتوزيع، ص 319.

[6] الشيخ (ابو عمران)، المرجع السابق، ص 483.

[7] المدني (أحمد توفيق) حياة كفاح، ج1، مصدر سابق 39 -40.

[8] الشيخ (أبو عمران)، المرجع السابق، ص 483.

منه مدرسة ثورية ثائرة وكذلك دار خاله" محمد بويراز" حيث قال عنها: "هي المدرسة التي أنارت فكري...وألقت بي في ميادين الحياة العامة"[1].

تأثر بعبد العزيز الثعالبي والمدرسة القرآنية وذلك في قوله: "... من سمعني أخطب فكأنما يسمع الثعالبي في لهجته ونبراته، وقوة عارضته وشدة شكيمته..."دكان علبوغدير وهو دكان صغير بسوق الكتيبة ويحتوي على العديد من الكتب التي اكتسب من خلالها معارف جديدة[2].

يعد أحمد توفيق المدني ذو التكوين التونسي من أبرز الاعضاء الذين ساهموا مساهمة فعالة ما بين الحربين بالإضافة إلى عمله الدبلوماسي الغني بجانبي جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة. [3]

كما كان له نشاط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قام باجتماع مع ثلاثة من المصلحين وأجمعوا على تأسيس هيئة العلماء تجمع شملهم وتوحد صفوفهم وذلك بعد احتفال الفرنسيين بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر[4] واصل أحمد توفيق المدني نشاطه الدؤوب في مرحلة الاستقلال[5]. وأسندت له وزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي أضفى عليها تعديلات وإعطائها صبغة تنظيمية[6]. وحنكته السياسية وعلاقاته الممتازة خاصة أثناء تواجده بتركيا.

استطاع جلب أكثر من 3000 وثيقة تاريخية خاصة بالعهد العثماني وضعت تحت تصرف الباحثين والأكاديميين بالمركز الوطني للدراسات التاريخية واسندت اليه مهمة استشارية هناك في العقد الأخير من حياته[7].

---

[1] أحمد توفيق المدني المصدر السابق ص ص 49 –50.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 79.

[3] علي مراد، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925–1940م، (تر: محمد بحياتن)، طخ، وزارة المجاهدين، دار الحكمة، الجزائر ،2007، ص 137.

[4] أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص 254–258.

[5] عبد القادر (خليفي)، أحمد توفيق (المدني) النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899–1983م د.ج، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م، ص 13.

[6] عبد القادر (خليفي)، المرجع نفسه ص 366–367.

[7] عبد القادر (خليفي)، المرجع السابق، ص 13.

2-وفاته:

في العقد الأخير من عمره تعرض لأزمات قلبية وذلك بسبب الحملة الانتقادات العنيفة التي تعرض لها من قبل تلاميذ جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من المفكرين توفي أحمد توفيق المدني فجاه صباح يوم الثلاثاء الموافق لـ 18 أكتوبر 1983م، بمسكنه العائلي بالأبيار-الجزائر العاصمة-عن عن يناهز 85 سنة[1]، ولم تشيع جنازته يوم وفاته بل تم تأخيرها لليوم الموالي انتظارا لوصول الوفود من بينها عائله المدني المقيمة بتونس وشخصيات تاريخية في أجهزة الحزب والدولة[2]، وخلفت وفاة على الساحة الوطنية أصداء حيث تم الإعلان عن وفاته عبر وسائل الاعلام والاذاعة والتلفاز وبعث الرئيس الشاذلي بن جديد (الجزائر) والحبيب بورقيبة (تونس) التعزية لعائلة الفقيد كما أوردت الصحف الوطنية الناطقة بالعربية جريدة الشعب والنصر خبر وفاة المدني مع بعض الصور له[3]، أنظر الملحق2.

3-مؤلفاته:

ترك المدني مجموعة من المؤلفات التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي فاقت العشرين مؤلفا بالرغم من الظروف التي كان يكتب فيها تحت نير الاستعمار الفرنسي والتي من بينها:

كتاب "قرطاجة في أربع عصور أو تاريخ الشمال الإفريقي قبل الإسلام" صدر عام 1927م[4].

كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1938م"، وهو عن حياة اطول الدايات عهدا وحكما وقد أعيد طبعه بعد الاستقلال كتب عنه المدني قائلا "فكان هذا أول كتاب اماط اللثام عن حقيقة الوجود العثماني التركي بهذه البلاد نسق تلك الخرافات والأكاذيب التي اختلقها

[1] ابو القاسم (سعد الله) تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، 1830-1954م، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص 419.

[2] أميرة (بوعزيز)، ايمان(عبدي)، احمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925-1954م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام جامعة 8 ماي 1945 قالمة 2016-2017، ص13.

[3] عبد القادر(خليفي) مرجع سابق 252.

[4] محمد صالح (الصديق)، المرجع السابق، ص 336.

الاستعمار من تشويه هذا الوجود وبينت فكري بكل صراحة وجلاء عن هذا العهد المظلوم فكان ذلك الكتاب مفاجأة للناس ومنارة للباحثين ولطمه قاسية في وجه الاستعمار"[1].

كتاب "الجزائر" جاك رد على الاحتفالات المئوية وذلك بعرض تقديم وطني للتاريخ الجزائري واظهر فيه المدني وجود الدولة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي [2]، أنظر الملحق3.

كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م" صدر هذا الكتاب بعد الاستقلال [3].

كتاب "هذه هي الجزائر" القاهرة 1957م وهو تعريف بتاريخ الجزائر وثورتها وهو من كتب الدعاية السياسية والاعلامية [4].

كتاب "حياة كفاح "هو عبارة عن مذكرات من ثلاثة أجزاء 1925 1962 وهو زبده المسيرة النضالية على مستوى الجسد والفكر بصفحاته التي تجاوزت الألف وثلاثمائة بالضبط 1386 صفحة. [5]

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن شخصية أحمد توفيق المدني تشكلت في بيئة علمية نضالية متميزة جعلت منه أحد أبرز رواد المدرسة التاريخية الإصلاحية في الجزائر وقد كان بثقافته الموسوعية وتجربته السياسية والدبلوماسية الممتدة الأثر البالغ في صياغة مشروع تاريخي وطني يستهدف إلى حماية الذات الجزائرية من التشويه الاستعماري وبناء على هذا التصور الفكري والمنهج الذي تبناه أحمد توفيق المدني فإن دراسة فكري هو مواقفه لا يمكن أن تكتمل دون اسقاطها على بيئة جغرافية واجتماعية محددة تبرز مدى التفاعل بين الخطاب الوطني العام والخصوصية المحلية.

---

[1] أبو القاسم (سعدالله)، مرجع سابق، ص 421

[2] علي(مراد)، مرجع سابق، ص 138.

[3] احمد توفيق (المدني) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792 ط خ وزارة المجاهدين عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص 8.

[4] أبو القاسم (سعد الله) المرجع السابق، ص 422.

[5] عمر (بن قينة) أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، دط، ص 108.

ومن هذا المنطلق خصصت الفصل الموالي لرصد الإطار الجغرافي والتاريخ لوادي ميزاب حيث سأحاول من خلاله تحديد الملامح الطبوغرافية للمنطقة الشبكة القاسية وموقعها الاستراتيجي في الصحراء الجزائرية الى جانب تتبع الجذور التاريخية للاستقرار الاباضي المنطقة وتأسيس القصور السبعة ونشوء النظم الاجتماعية ويهدف هذا الحيز الجغرافي والتاريخ الى بناء الأرضية المعرفية لفهم وتحليل الكيفية التي قارب بها المدني هذه المنطقة في مدونة التاريخية وماذا توفيقه في الموازنة بين خصوصية المجتمع الميزابي وثوابت الأمة الجزائرية.

الفصل الأول:

الإطار الجغرافي والتاريخي لواد ميزاب

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته

المبحث الثاني: تطورواد ميزاب عبر التاريخ

المبحث الثالث: النظام الاجتماعي (حلقة عزابه)

تمهيد:

من خلال دراستي لمنطقة وادي ميزاب اتضح لي بان وادي ميزاب من أبرز المناطق التي حافظت على خصوصيتها الحضارية والاجتماعية في الجزائر خلال مختلف المراحل التاريخية بما في ذلك العهد العثماني ولذلك استقطب هذا المجال العديد من المؤرخين من بينهم أحمد توفيق المدني الذي حاول من خلال كتاباته تقديم صورة عن طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، وفي هذا الفصل تناولت الإطار العام لفهم وادي ميزاب من خلال التعريف بخصائصه الجغرافية ثم نشأة المنطقة وتطورها وصولا الى النظام الاجتماعي (حلقة عزابه).

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته:

أولا: التضاريس والموقع الفلكي

لا يمكن فهم التاريخ الاجتماعي والعمراني لاي منطقه دون التطرق لطبيعتها الطبوغرافية وموقعها الاستراتيجي، فالجغرافيا هي المسرح الذي تبنى عليه الأحداث. ويشكل وادي مزاب بموقعه المتميز في منطقة الشبكة نموذجا فريدا، حيث لعب هذا الموقع دورا مزدوجا: الاول كحص طبيعي وفر الحماية للسكان، والثاني كعصب تجاري ربط بين الشمال والجنوب. في هذا المبحث، سنسلط الضوء على جغرافية المنطقة (واد ميزاب) ومدى تأثيرها على حياة الإنسان المزابي.

من يذهب لزيارة واد ميزاب سواء عن طريق البر أو الجو يلاحظ ان هناك شبكه متسلسلة من الجبال الصلبة متميزة بلون وردي داكن ويطلق عليها الشبكة التي تشبه الى حد ما النسيج المشبك. [1]

وتقع بلاد الشبكة في شمال الصحراء الجزائرية، وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية[2]، وهي على الطريق الوطني رقم واحد الرابط بين عاصمة الجزائر وتمنراست[3] على بعد 600 كلم عن العاصمة[4]، وعن قسنطينة ب 800 كلم شرقا ووهران 800 كلم غربا و1500 كلم من تمنراست جنوبا غرداية ترتفع عن سطح البحر ب 515 متر. [5]

---

[1] الاطلس العالمي المعهد التربوي الوطني الجزائري، جيولوجيا الجزائر، ص 13.

[2] يوسف (بن بكير الحاج سعيد): تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ط 4، المطبعة العربية غرداية 2017م، ص 1.

[3] Abel Andre, a-coyne :le Mzab ,Adolphe Jourdan,Alger,2987, p3.

[4] الاطلس العالمي، مرجع سابق، ص 13.

[5] بكير بن سعيد(أعوشت)، وادي ميزاب في ظل الحضارة الاسلامية، دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية 1991م، ص20.

يحدها شمالا ولاية الأغواط والجلفة، وجنوبا ولاية تمنراست، ومن الجنوب الغربي ولاية أدرار، ومن الشمال الغربي ولاية البيض ومن الشرق ولاية ورقلة[1]، أنظر الملحق1.

تقع منطقة وادي ميزاب بين خطي عرض 15°، 31°شمالا الى 33°، وخطى طول 30°، 2°شمالا 5°وهي ضمن مجموعة الهضاب التي تغذي التلال الرملية[2]، ويطلقون على وادي مزاب اسم (اغرزاوغلان) وتعني اغرز بالمزابية وادي[3].

يقول عنها حسن الوزان: "مزاب منطقه مأهوله في قفار نوميديا على بعد نحو 300 ميل شرقى تيكورارين، وهي على نفس المسافة من البحر المتوسط، تشتمل على ستة قصور وعدة قرى، سكانها أغنياء، وهي ايضا راس خط تجاري يلتقي فيها تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان".[4]

اشتهرت المنطقة ببلاد الشبكة نظرا لطبيعتها الصخرية القاسية وتضاريسها الوعرة التي تتخللها أودية وجداول جافه تفيض في مواسم الامطار[5]، ونظرا لتشابك اوديتها بين قراها سميت بالشبكة. [6]

وهذه الشبكة بها أودية رئيسية هي وادي ميزاب وروافده ووادي بلوح وواد متليلي وواد النساء وواد زقرير هذه الأودية وروافدها المتعددة تجري عندما تصب الامطار غزيره على

---

[1] مصطفى (دودو): نظام تقسيم واستغلال مياه السيل بوادي ميزاب عوامل واليات المحافظة رسالة ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2015م، ص 14.

[2] صالح بن عمر (اسما وي): نظام العزابه دوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986- 1987م، ص 2.

[3] يوسف (بن بكير الحاج سعيد): المرجع السابق، ص 3.

[4] الحسن بن محمد(الوزان): وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الاخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983 م، ص ص 134-135.

[5] صالح بن عمر(اسماوي)، مرجع سابق، ص2.

[6] قاسم بن أحمد (بالحاج) معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157 هـ/ 1744 م الى 1382 هـ/ 1962 م ،ط1، المطبعه العربية غرداية، 2011 م، ص 57.

الشبكة وما حولها متجهة في اغلب الحالات من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ويرى الجيولوجيون ان الشبكة لوادي يعود عصره الى العهد الطباشيري. [1]

شبكة وادي ميزاب من الجهة الغربية توجد بها سلسلة من الجبال الطباشيرية يعرف هذا النوع محليا بالحجارة الكلخية المحتوية على بعض الأزهار والسرطانات المتحجرة في داخلها.[2]

ثانيا: المناخ

يسود هذه المنطقة المناخ القاري، يتميز بصيف حار جاف وتصل درجة الحرارة الى 50 °او أكثر ونزولها الى درجه او درجتين تحت الصفر شتاءا اضافه الى جفاف الهواء طيلة أيام السنة وتتعرض المنطقة الرياح محمله بالرمال القادمة من الجنوب الغربي خاصة نهاية الشتاء وبداية الربيع ومن الأسباب التي تزيد من ارتفاع الحرارة في المنطقة هي طبيعة الكتل الصخرية التي تحيط بالوادي وتشكيل تكتلات حرارية ومن مميزات المناخ الصحراوي انخفاض درجة الرطوبة وذلك لقلة المسطحات المائية[3]، أما الأمطار فهي قليلة لا يتجاوز معدل التساقط فيها 67 ملم سنويا ولذلك وديانها قليله السيلان.[4]

تسود المنطقة نباتات قصيره وكثيره الاشواك وطول الجذور كالحش مثل السدر والشيح والقر طوفة والنجم بالإضافة إلى شجرة البطم أما النخلة وغيرها من الاشجار مثمرة فهي من النباتات التي بذل الإنسان مجهودا معتبرا للتأقلم مع ظروف المنطقة. [5]

---

[1] الاطلس العالمي المعهد التربوي الوطني الجزائري، مرجع سابق ص13.

[2] يوسف الحاج سعيد(بن بكير): المرجع السابق، ص9-16.

[3] عمر بن محمد (زعابة): آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في واد مزاب، اطروحة الدكتوراه في حفظ وتسيير تراث الاثري، قسم التاريخ والآثار، بجامعة أبي بلقايد، تلمسان ،2016 م ص ص 65- 66.

[4] قاسم بن احمد الشيخ (بالحاج): المرجع السابق، ص 56.

[5] خالد(عزب): السياسة الشرعية وفقه العماره، الحدود الفاصل هو المشتركة، مجله وحدة الدراسات المستقبلية، ع 14 الإسكندرية 2013، ص7.

بناء على ما سبق يتضح أن الموقع الاستراتيجي لوادي ميزاب بالرغم من قساوة طبيعته لكنه وفر بيئة ملائمه للاستقرار والتحصين وهذا ما دفع بالمجموعات البشرية الاولى الى وضع اللبنات الأساسية لقصور الوادي فكيف كانت بداية هذا الاستقرار او الاستيطان؟ وكيف تطورت هذه القصور عبر الزمن؟ هذا ما سنتناول في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: تطور واد ميزاب عبر التاريخ

أولا: أصل التسمية والنشأة

إن الوجود البشري في منطقة "الشبكة" ليس وليد الصدفة، بل هو نتاج سيرورة تاريخية بدأت بهجرات متتالية ادت الى تأسيس القصور التاريخية سنحاول هنا تتبع التسلسل الزمني لهذا التوسع العمراني وكيف تحول الوادي من قفار موحشة إلى مدن عامرة ومنظمة.

منطقة وادي ميزاب كانت آهلة بالسكان منذ زمن بعيد بالرغم من قساوة طبيعتها وشهدت المنطقة فترات تاريخيه هامه ومن خلال هذا المبحث سنلقي نظرة على بداية نشأة منطقة وادي ميزاب وتطورها.

يذكر المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون أن أصل تسمية واد مزاب" من بني وسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة كما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين (...) وضعوها في ارض حره على اكام وضراب ممتنعة في قنتها، وبين الأرض الحجرة المعروفة بالحماده في سمت العرق متوسطه فيه قباله تلك البلاد فراسخ في ناحيه القبلة، وسكانها لهذا شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال في من يضاف اليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب. [1]

[1] عبد الرحمن (ابن خلدون): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، عمان– الاردن، د.ت، 1835.

وتشير العديد من الآراء ان كلمة ميزاب هي مصعب وتعرضت للتحريف وأصبحت مصاب بقلب حرف العين الحلقية الى الهمزة ثم الحروف ولحقتها وأصبحت ميزاب وهذا راجع الى طبيعة بني ميزاب[1]، حيث يبدل الصاد بزاي مفخمة بالكلمات مثل الصوم ازومي. [2]

وتعود نشأة منطقة وادي ميزاب إلى اوائل القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي وقبل هذه الفترة كانت المنطقة منتجعا لأهل البادية من الرحل ينزحون اليها اما طلبا للقوت او للاحتماء من قسوة الطبيعة. [3]

الآراء واختلفت حول أصل تسمية بني ميزاب فهناك من يقول ان مصاب هذا هو مصعب بن محمد بن بادين، انتقل هو وابنائه الى بلاد الشبكة مع بني إخوته عبد الواحد وتوجين و زردال وهم من زناتة ويذكر الشيخ أبي إسحاق اطفيش في هذا الصدد أن هجرة بني مصعب تمت في القرن الثاني من الهجرة ووقعت لأسباب سياسية حسب رأي ابن خلدون[4]، واتفق الجميع ان نسبهم يعود الى قبيلة زناته البربرية حسب ما ورد في كتاب ابن خلدون.... من شعوب زناتة وإن كانت شهرتها مختصة بحماية.[5]

[1] بن زكري(حمو): انشاءات الراي التقليدية بمنطقة وادي ميزاب (قصر غرداية نموذجا)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2014/ 2015، ص25 24.

[2] محمد(جودي): المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية في الجزائر" دراسة تحليليه مقارنه للقصور ميزاب ورقلة "اطروحة الدكتوراه علوم، تخصص علم الاثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2013- 2014 م، ص103.

[3] بلقاسم (دحماني): العمارة والعمران ببلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس هجري، من خلال كتاب القسمة واصول الاباضيين (قصور سهل وادي ميزاب نموذجا)، مذكره لينيل شهادة الماستر في علم الاثار، جامعه الجلفة، 2018-2019، ص82.

[4] عبد الرحمن (ابن خلدون): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر، 1421-2000، ص80.

[5] يوسف (الحاج سعيد بكير): تاريخ بني ميزاب، دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2003، ص 08.

ويقول الشيخ مبارك في نسب بني مزاب: "ومن افخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم لهم المدعو اليوم ميزاب والزاي والصاد (...)، وبنو عبد الواد الذين بمزاب من بني مطهر ابن يمل ابن يزن ابن القاسم "وقال ابو راس لحماية واخلاط من صنهاجة وغيرهم.[1]

يرى ان أصلهم مختلط فمنهم البربر والعرب وليس هناك أصل واحد لسكان الميزاب لأن هناك هجرات وفدت إلى المنطقة عبر الأزمنة.[2]

يذكر محمد علي دبوزأن"أماكن وادي ميزاب كانت موطنا لزناتة وكذلك مدينة الاغواط فإنها القبيلة البربرية الأغواط من الزناتة، وعلى العموم فإننا نجد في الأغلب البرانس في السواحل والبتر في الوسط المغرب الكبير وجنوبه.[3]

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بكري أن "سكان ميزاب الاصليون من قبيلة بني مصعب البربرية، فرع زناتة"[4]، وتتفرع الزناتة إلى خمسة فروع: من بينها واسين، ومن بطونهم بنو مرين وبنو راشد وبنو بادين.[5]

ويظهر في المخطوطات القديمة جليا عدم استطاعة البربر على النطق بالعين محققه فتقرأ فيها امي سعيد وامي عيسى، وهذا بدلا من عمي سعيد وعمي عيسى وهذا سبب تحريف مصعب الى ميزاب والمؤنث في لمزابية مختوما بتاء كذلك منها تمطت للمرأة.[6]

---

[1] مبارك بن محمد (الميلي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د.ت، ص 2014.

[2] عبد الرحمن (ابن خلدون)، مصدر سابق، ص80.

[3] محمد علي (دبوز) تاريخ المغرب الكبير ج 1مؤسسه توالت الثقافية، ليبيا 2010، ميلادي ص 44.

[4] ابراهيم (زدك): الحركة العلمية في منطقه واد ميزاب ما بين القرنين10-13ه/16-19م، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعه ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م، ص 18.

[5] يوسف (بن بكير الحاج سعيد)، المرجع السابق، ص 6.

[6] يوسف (الحاج سعيد بن بكير): تاريخ بني ميزاب، مطبعة بصمة، غرداية، 2023، ص1.

التركيبة السكانية لمنطقة واد ميزاب مختلطة فهي تجمع بين مختلف سكان المناطق من بلاد المغرب وكلهم على المذهب الاباضي منهم البربر والعرب وأصبحوا يعرفون بني مزاب يتكلمون اللهجة الزناتية او المزابية المحلية [1]، واد ميزاب هو واحة في قلب الصحراء الجزائرية وقد تأسس من قبل أتباع المذهب الإباضي الذين هاجروا من تيهرت بعد سقوط دولتهم، وتأسست مدن وادي ميزاب المعروفة بالقصور في منطقة تتسم بقسوة الطبيعة ونقص المياه وهذا ما دفع السكان الى ابتكار اساليب معمارية تتماشى مع البيئة الصحراوية واستمرار الحياة.

وتحتفظ المنطقة بالكثير من المدن والقصور التي أنشئت فيها عبر التاريخ والتطور الحضاري والعمراني لمنطقة وادي ميزاب[2].

ثانيا: تطور واد ميزاب عبر العهود

بلاد الشبكة في العصر الحجري:

إن بلاد الشبكة كانت عامله منذ أقدم العصور فقد القى الدكتور" بيير روفو" في الدورة الحادية عشرة لمؤتمر ما قبل التاريخ المنعقد بفرنسا عام 1934 م محاضرة بين فيها حصيلة بحوثه في بلاد الشبكة ذكر فيها 11 محطة من العصر الحجري الأول، يمكن تقسيم تاريخ ميزاب إلى أربعة عهود متمايزة:

العهد الأول: يمتد من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري كانت تعرف المنطقة فيه ببادية بني مصعب يغلب على سكانها البداوه ويمتاز بني مصعب بأن سكان ارض الشبكة اعتنقوا الإسلام وحافظوا على نظام حياتهم كشعب يعتمد على تربية المواشي والزراعة الموسمية.

[1] يوسف (الحاج سعيد بن بكير) تاريخ بني ميزاب، دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية 2003، ص08.

[2] عمر بن محمد(زعابة) الحفظ الوقائي للمواقع الأثرية بغرداية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012، ص123.

العهد الثاني: يمتد من نهاية القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن ثم تأسيس القرى الخمس الموجودة على وادي نظام وتحولوا تدريجيا الى المذهب الاباضي وكانت إدارة شؤون كل قرية من طرف حلقة عزابه التي مقرها المسجد. العهد الثالث: مع فرنسا (1269 هـ/ 1853م) توسع العمران بفضل التجارة بالتل واستقبلت واستقبلت المنطقة طوائف جدد واسست القرارة وبريان.

العهد الرابع: دام قرنا يتميز بفقدان ميزاب الاستقلال السياسي تدريجيا بمقاومة الاستعمار تأثر بنو ميزاب بالثقافة الأوروبية والاحداث العالمية الكبرى وقاموا بدور تاريخي لاسترجاع السيادة الوطنية [1]، أنظر الملحق4.

المبحث الثالث: النظام الاجتماعي (حلقة عزابه)

لا تكتمل صوره وادي ميزاب بالحديث عن الجغرافيا والتاريخ فقط بل لابد من التطرق لعمق نظامها المؤسساتي الذي يعتبر العمود الفقري الذي حافظ على تماسك المجتمع المزابي واستمراريته لقرون

ويعتبر النظام الاجتماعي في منطقة وادي ميزاب نموذجا فريدا للتنظيم الذاتي الذي تمكن من الحفاظ على تماسك المجتمع وأصالته لأكثر من عشرة قرون فمنذ تأسيس قصور وادي ميزاب في القرن العاشر ميلادي ارتبط استقرار الإنسان في هذه البيئة الصحراوية الصعبة بوجود نظام اجتماعي صارم ومرن في آن واحد وقد تجسد هذا النظام في حلقة عزابه بأعلى هيئة دينية واجتماعية وتربوية، بمهامها لا تقتصر على الوعظ والارشاد فحسب، بل تمتد لتشمل الاشراف الكامل على شؤون المجتمع في مختلف نواحي الحياة ومن خلال هذا المبحث نسلط الضوء على هذه الهيئة العرفية التي حولت قصور وادي ميزاب الى اسرة مصغره منضبطة مستمدة قوتها من المذهب الاباضي.

[1] يوسف (بن بكير الحاج سعيد)، مرجع سابق، ص 2-4.

ومن المهم تحديد المفاهيم ومما سنوضح في هذا العنصر هو معنى نظام العذابة ونشأته بمنطقة واد ميزاب.

أولا: مفهوم نظام وتأسيسه العزابة

أ-لغة: يقال أعزب رجل، عزب ومعزابة، ومعناها لا أهل له، وعزبتي الإبل أي ابتعدت في المرعى وأعز بها صاحبها واعز بإبله، أي بيتها في المراعي ولم يرحها. [1]

ورد معناها في القرآن بمعنى الغياب، مصداقا لقوله تعالى {وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء} [سورة يونس: الآية 61] وفي قوله تعالى {عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض} [سورة سبأ الآية 3]، ومعناها لا يغيب عنه شيء.[2]

ب-اصطلاحا: وأما المعنى الاصطلاحي فيقصد به الاعتزال والعزبة والبعد عن الشهوات الدنيوية وكمالياتها خدمة للدين الحنيف خدمة للمجتمع، انطلاقا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبتعدا عن مفاتن الدنيا. [3]

حلقة عزابه هي هيئه دينية تتأسس في كل مدينة او قرية من قرى وادي ميزاب، تتخذ من المسجد مقرا لها عرفت في المجتمع المزابي الاباضي باسم حلقة او هيئة.

العزابة تأسست في وادي ميزاب لتعوض قيادة الامة أو المجتمع بعد سقوط الدولة الرسمية في تيارت ونزوح فلول الإباضية الى الجنوب الجزائري سدراته وواد جيلان ووادي ميزاب ولحلقة العزابة نظام وتقاليد ومنهج خاص يسير عليه تعرف في المراجع، ولذا المجتمع المزابي بالسير العزابة وهي ما يعبر لها حديثا بالنظام الداخلي وعلى اساسه توزع

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 79-81.

[2] محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب المحيط دار لسان العرب، بيروت، 1970، ص ص 595-598.

[3] فرحات (الجعبيري): نظام العزابه عند الإباضية الوهابية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، المطبعة العصرية، تونس، 1975، ص 68.

المسؤوليات بين اعضائه شروط العضوية في الحلقة ان يكون حافظا لكتاب الله تعالى، ان يكون مستمرا في طلب العلم ان يكون كيسا اديبا ذا راي شديد ان يكون مثالا في التقوى والصلاح والاستقامة ان يكون من عمار المسجد وحضور الجماعة ان يكون حافظا للسير ونظم الحلقة ومحافظا عليها ان لا يكثر ارتياد الاسواق ان يبتعد عن مواقع الشبهات من المحرمات وقد قسمت مهام اعضاء العزابه الى شيخ الحلقة المستشارون امام الصلاة المؤذن الوكيل المرشد الغسالون والعرفاء[1]، ومن رتب الحلقة فهو الشيخ عبد الله محمد بن بكر وفي البداية لم يكن لها اي نفوذ على المجتمع ولم يكن هدفها اخضاع المجتمع الاباضي بل كانت تربوية تعليمية تسهر على تكوين النشء[2]، وهذا النظام كان في البداية عرفا يسير عليه الاباضيه حتى جاء الامام ابو عبد الله محمد بن بكر في اواخر القرن الرابع هجري فحرره على شكل قانون يشمل قواعد تطبق على مواطن الاباضية في ليبيا وتونس والجزائر وعلى هذا الاساس اصبح الامام ابو عبد الله هو واضح حلقة عزابه. [3]

مع مرور الوقت لم تبقى الحلقه على ما سطره الإمام أبو عبد الله بل تطورت قواعدها حتى تحولت الى اعلى سلطة روحية في المجتمع الاباضي يشرف عليها الأعيان والعلماء تسيير شؤون المجتمع دينيا وتعليميا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا[4]، اصبحت حلقة العزابة تمثل خيرة أهل البلاد من حيث العلم والصلاح واتخذت من المسجد قاعده وصرحا لنشاطها خاصة وان للمسجد تأثير في نفوس المزابيين. [5]

[1] مصطفى(طاعة): مرجع سابق، ص 816.

[2] قاسم بن أحمد الشيخ (بالحاج)، مرجع سابق، ص74.

[3] علي يحي(معمر): مرجع سابق، ص87.

[4] يوسف (بن بكير)، مرجع سابق، ص 29.

[5] حمو محمد عيسى (النوري)، مرجع سابق، ص155.

ثانيا: مجلس العوام ومجلس عمي السعيد

مجلس العوام هو هيئة عرفية في حواضر وادي مزاب يتشكل من اعيان القصر اغلبهم شيوخ العشائر يتولى هذا المجلس إدارة شؤون القصر السياسية والأمنية والادارية تتشاور مع هيئة العزابة في خدمة الصالح العام ولم يعرف تاريخ إنشاء هذا المجلس وتوقى إلى هذا المجلس مهمة وضع القوانين وإصدار الأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات ووضع اللوائح الداخلية التي تخص الحياة العامه في العصر مثل تحديد المكاييل والموازين وغيرها[1]، يعرف هؤلاء العوام بالمقاديم وهم من يتفقون مع عزابه القصر لوضع قواعد ونظم المدينة خاصة في وادي ميزاب ولا يشترط فيهم المستوى العلمي عكس اعضاء العزابه.[2]

أما مجلس عمي سعيد فيعد الهيئة التشريعية العليا في المجتمع الاباضي بوادي ميزاب ويتكون من علماء وممثلين تأسس يوم 13 شوال 855ه الموافق ل 16 نوفمبر 1451م كل بلد ممثلة بثلاث أعضاء اما رئيس هذا المجلس فهو ينتخب انتخاب حر يشترط فيه أن يتميز بأخلاقه وكفاءة وعلم وشخصية قوية[3]، يسعى هذا المجلس لإصدار بعض الفتاوى إزاء بعض القضايا والإشراف على الأوقاف الإباضية داخل وخارج الوطن [4].

يجتمع كل ثلاثة أشهر كانت قصور وادي ميزاب تشكل اتحادا يظهر على اموره مجلس اعلى مشكل من علماء هذه القصور وبدورهم هم أعضاء وممثلين لحلقات عزابتهم في قراهم لينتخبوا تشكيل الهيئة التشريعية في واد ميزاب عامة والتي تعتبر مركز السلطة في المجتمع الاباضي[5]، أنظر الملحق 5-6-7-8.

---

[1] الحاج موسى بن عمر، مرجع سابق، ص 16- 17.

[2] محمد ناصر بالحاج، مرجع سابق، ص29

[3] مصطفى (طاعة)، مرجع سابق، ص 818.

[4] مصطفى (رباحي)، الاوقاف الإباضية، دراسة حالة الاوقاف الإباضية بوادي ميزاب غرداية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي التربوي، أشرف: محفوظ سماتي، جامعة الجزائر، 2007م، ص100.

[5] مصطفى (طاعة)، مرجع سابق، ص 818.

مما سبق يتضح أن النظام الاجتماعية لحلقة عزابه يمثل تجربة تاريخية فريدة استطاعت تحويل المبادئ الأخلاقية الى واقع معاش حيث شكلت من الناحية التاريخية صدا منيعا لحفظ المجتمع وهويته وتماسكه أمام مختلف التحولات أما في الواقع المعاصر فلا تزال هذه الحلقة تبرهن على حيويتها وقدرتها على ضبط التوازن بين الأصالة ومتطلبات العصر من خلال أدوارها في التكافل الاجتماعي وسر استمرارية هذا النظام يكمن في مرونته العالية متجذرة في الوجدان الشعبي مما جعله نموذجا.

خلاصة الفصل:

بناء على ما تم رصده في هذا الفصل نخلص إلى أن علاقة وادي ميزاب بالسلطة العثمانية في الجزائر لم تكن علاقة خضوع مطلق أو اندماج كلي بل خضعت للاستقلالية الذاتية المشروطة مقابل التزامات جبائية اقتصادية متبادلة وقد نجح المجتمع الميزابي بفضل حنكة مؤسساته العرفية كحلقة العزابة ومجلس عمي السعيد في الحفاظ على خصوصيته المذهبية ونظامي الاجتماعي والسياسي الداخلي وبناء جسور تعاون تجاري وأمني مع ايالة الجزائر وهذا جعل المنطقة فاعلا اقتصاديا حيويا في ربط الصحراء بالتل الجزائري طيلة العهد العثماني وهذا التميز التاريخي والاجتماعي لواد ميزاب خلال العهد العثماني لم يكن بمعزل عن اهتمام المؤرخين والرواد الجزائريين في القرن العشرين الذين بحثوا في التاريخ الركائز لدعم الهوية الوطنية ومقاومة المد الاستعماري الفرنسي وفي طليعة هؤلاء يبرز المؤرخ أحمد توفيق المدني الذي التفت بقلمه نحو هذه المنطقة بعناية خاصة ومن هذا المنطلق يرتكز الفصل الموالي على دراسة وادي ميزاب من خلال ما صوره المدني حيث سأقوم فيه بتشريع وتحليل المادة التاريخية والجغرافية والاجتماعية التي قدمها المدني في مؤلفاته خاصة كتاب الجزائر حول منطقة ميزاب والهدف ايضا تفكيك خلفيات خطابه ومعرفة كيف وظف تاريخ هذه المنطقة ثم نقد وتحليل لها.

الفصل الثاني:

منطقة واد ميزاب خلال العهد العثماني

المبحث الأول: طبيعة العلاقة مع السلطة العثمانية

المبحث الثاني: مظاهر وأبعاد الاستقلال الذاتي للمنطقة

المبحث الثالث: النشاط الاقتصادي (الفلاحة التجارة)

تمهيد:

بعد وقوفنا في الفصل السابق على الخصائص الجغرافية لمنطقة ميزاب وكيف قام المزابيين بتطويع البيئة الصحراوية بتشييد المدن السبع (القصور) ننتقل في هذا الفصل لتسليط الضوء على مرحلة تاريخية حاسمة وهي العهد العثماني في الجزائر ونتطرق لطبيعة العلاقة مع السلطة العثمانية لنكشف من خلالها عن التوازن الدقيق الذي صنعه المزابيون بين الانضواء تحت لواء السلطة العثمانية في الجزائر وبين التمسك بخصوصية نظامهم الاجتماعي والديني ففي الوقت الذي خضعت فيه معظم الأقاليم الجزائرية الحكم العثماني المباشر حافظ المزابيون على نوع من الاستقلال الذاتي في تسيير شؤونهم الداخلية معلنين ولائهم للسلطة العثمانية لضمان أمن قوافلهم التجارية شكلت منطقة وادي ميزاب ببيئتها الصحراوية ونظامها الاجتماعي الفريد نموذجاً متميزاً في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني (1518/1830م).

فرغم بسط العثمانيين نفوذهم على أغلب ربوع الجزائر، إلا أن العلاقة مع منطقة ميزاب اتخذت طابعاً خاصاً تأرجح بين الاعتراف الاسمي بالسيادة العثمانية والحفاظ على الخصوصية المحلية. يسعى هذا الفصل إلى دراسة طبيعة هذه العلاقة السياسية واستجلاء مظاهر الاستقلال الذاتي الذي تمتع به الميزابيون، مع تسليط الضوء على الجانب الاقتصادي للمنطقة من خلال قطاعي الفلاحة والتجارة اللذين تحديا قساوة الطبيعة وصنعا ثروة المنطقة.

المبحث الأول: طبيعة علاقة واد مزاب مع السلطة العثمانية

أولا: التضامن العسكري والاتفاقيات السياسية

تمثل منطقة وادي ميزاب أنموذجا متميزا في علاقتها مع إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث ان طبيعة المنطقة الجغرافية القاسية تداخلت مع الرغبة المحلية في الحفاظ على الخصوصية والمذهب الإباضي. وبناءً على ذلك، لم تقم السلطة العثمانية بإخضاع القصور عسكرياً، بل تركتها في تهميش إداري مقصود أفرز علاقة قائمة على التوازن والمصلحة المتبادلة. وسأحاول من خلال هذا المبحث تسليط الضوء على ذلك.

تميزت العلاقة بين السلطة العثمانية ووادي ميزاب بغياب أي نفوذ سياسي او عسكري تركي مباشر داخل القصور وتذكر المصادر أنه لم يتم تعيين أي مسؤول عثماني مثل الاغا او القائد لإدارتها داخليا[1]، كما أنه لم تؤسس إيالة الجزائر اي قلاع أو حاميات عسكرية للإنكشارية في وادي ميزاب هذا أخرج المنطقة من التنظيم الاداري لبيلكات الإيالة وصنفت كإقليم هامشي مستقل ذاتيا[2]، اقتصر الاهتمام العثماني بالمنطقة على تامين الحدود الجنوبية وذلك لضمان عدم تحالف القوى الصحراوية ضد المركز وتأمين المسالك المؤدية الى عمق الصحراء وحماية النسيج الاجتماعي من الاضطرابات العشائرية وبالمقابل كانت جماعة وادي ميزاب بحاجة الى مظلة السلطة العثمانية باعتبارها قوه اقليمية كبرى في شمال افريقيا وذلك لحماية رعاياها المهاجرين في مدن التل ولتامين تنقلاتهم عبر الاقاليم التي تقع تحت النفوذ التركي مع ترك الحرية في التسيير الداخلي لحلقة العزابة ومجالس العشائر.

[1] بكير (الحاج سعيد)، مرجع سابق، ص 112.

[2] اعوشت (بكير)، مرجع سابق، ص42.

ورغم الاختلاف المذهبي بين السلطة العثمانية (الحنفية) ومجتمع وادي ميزاب (الاباضي) الا ان طبيعة هذه العلاقة تجاوزت هذا الفارق فعند الاخطار الخارجية هناك رابطة التضامن الاسلامي في مواجهة الحملات الصليبية واتسمت العلاقة بالولاء المتبادل حيث ساند المزابيين الاتراك في مواجهة الغارات الاوروبية على شمال افريقيا حيث كان المزابيون ينخرطون طواعية في دعم الجيش العثماني والمشاركة في الدفاع عن ثغور الجزائر مثل مشاركتهم في صد حملة شارلكان عام 1541م وحملة اوريلي عام 1775م مما اضفى على هذه العلاقة صبغة التحالف الدفاعي في الاوقات الحرجة[1]، كما نظمت العلاقة السياسية والمالية بين الطرفين وذلك باتفاقات مبرمة بين أعيان القصور المزابية ودايات الجزائر خاصة في عهد داي محمد بكداش 1710م. [2]

وتجسدت التبعية السياسية للدولة العثمانية من خلال دفع ضريبة سنوية حيث التزم المزابيون في دفع خراج ثانوي 12 عبدا و12 امتا بدا توثيقه في عهد رايس باشا عام 1552م، وبدفع مقدار مالي للسلطة العثمانية يعرف باللزمة وكان يدفع لبايلك أو لبيت مال الإيالة مباشرة كرمز للاعتراف الرسمي بالسيادة لم تكن هذه اللزمة ضريبة عسكرية بل كانت رسوم سياسية وتجارية تضمن للمزابيين الحرية لتنقلهم وتنقل قوافلهم التجارية في الحواضر الشمالية. [3]

ثانيا: التمييز الإداري وأمين الجالية

وكان التعامل القانوني مع الفرد المزابي خارج اقليمه يعامل على انه ليس أجنبي فعندما ينتقل المزابي الى العاصمة (دار السلطان) كان يعامل كرعية من رعاياه له حقوق ووجبات تجسد هذا في ايجاد السلطة العثمانية لمنصب رسمي للهيكل الاداري العاصمة يعرف بأمين

[1] يوسف (بن بكير): مرجع سابق، ص75.

[2] اعوشت (بكير): مرجع سابق، ص 46-51.

[3] حمو عيسى(النوري): مرجع سابق، ج2، ص88.

الجالية او أمين المزابيين وهو اعتراف قانوني ومؤسساتي من السلطة بطبيعة هذه الجماعة وتميزها.

كان المزابيين يهاجرون الى المناطق الشمالية الجزائر والى البلاد التونسية واعترفت هيئات بلاد نظام منذ فجر الوجود العثماني بالجزائر بالتبعية للنظام بموجب اتفاق أبرمت مع ال بربروس حوالي سنة 1510م ميلادي لحماية تجارتهم ممتلكاتهم في مختلف أنحاء شمال الجزائر وصونا لقوافلهم يمكننا القول أن هذا الارتباط بالدولة العثمانية بالجزائر يعتبر أول وثيقة سياسية ربطت صحراء جزائرية بالوطن الجزائري بصفة طوعية قبل وصول السلطة العثمانية الى منطقة الزيدان واريغ وقبل وصول صالح باء الى الاغواط سنة 1785م ويلاحظ أن السلطة المركزية العثمانية في الجزائر.

كانت تميز أهل ميزاب بمكان خاصة ومعامله راقيه[1]، كما تمثلت العلاقة مع السلطة العثمانية في الزواج بالمعتقات يشير إلى زواج أيوب بن صالح المزابي بمعتقة حسن باشا وزواج معلم حمام دار سركاجي بسعادة معتقه ابراهيم التركي[2].

ما يؤكد هذه التبعية هو حينما تمرد بعض زعماء الطوائف في الجنوب على السلطة المركزية الجزائرية قام محمد الكبير عام 1785م بحمله لإخضاع المتمردين يذكر احمد بن الخطاب في كتابه "رحله محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري" انا الباي محمد الكبير توجه بجيش ضخم الى الجنوب الصحراوي وانطلقت هذه الحملة بين معسكر من معسكر ومرت بمناطق جبل عمور وافل والبيضاء حتى وصلت الى مدينه الاقواط الاغواط وقاموا بإذعان القبائل المحيطة بالمنطقة بما في ذلك منطقه ميزاب واعتراف هذه القبائل بدوله الاتراك في القطر الجزائري ورضوا ان يؤدوا لها الضرائب السنوية

[1] الآغا بن عودة (المزاري): طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر تحقيق ودراسة د. يحيى بوعزيز جزء واحد جزء طاء واحد دار الغرب الاسلامي بيروت 1990.

[2] عائشة (غطاس)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية -اقتصادية، 2000م-2001م ص445.

عن طيب نفس[1]، وكان للمزابيون في دار السلطان نقابه ام امينهم ووضعهم مختلف مختلف عن بقيه البرانيه كانت لهم عقود ملكيه لمحلاتهم السكنية والمهنية وهذا ما ذكره يوسف بن بكير في مرجعه تاريخ بني مزاب نقلا عن عمار بن خروف «ان جماعه بني مزاب في مدينه الجزائر كانت من الجماعات المهمة التي نشأت فيها العهد العثماني والتي كان لها وزنها المالي والتجاري فيها ودورها الفعال في النشاط الاقتصادي في المدينة ان لم تكن اهمها على الاطلاق.....الخ».[2]

ومن هنا يتضح وجود علاقة وطيدة تربط المزابيين بالحكومة العثمانية، حيث كانوا يقدمون قروضا لدايات الجزائر من صندوق التضامن الخاص بهم ويدفعون مبلغا سنويا قدره اربعمائة سائمة.

المبحث الثاني: مظاهر وأبعاد الاستقلال الذاتي المحلي لمنطقة واد ميزاب

قادت طبيعة العلاقة السابقة (التبعية الاسمية) إلى نشوء نظام حكم محلي مستقل تماما داخل قصور وادي ميزاب حيث حافظ اقليم وادي ميزاب طيلة العهد العثماني (1830/1518) على شخصيته السياسية والتشريعية المستقلة فلم تكن بنيه الحكم داخل قصور السبعة امتداد لنظام الاداري التركي الذي طبق في ايالة الجزائر بل شكلت نموذجا فريدا للاستقلال الذاتي وذلك باعتراف المنطقة بالحكم العثماني وهذا كان متبادل وتجلت مظاهر وابعاد هذا الاستقلال في النواحي الآتية:

أولا: السيادة المطلقة لمجلس الاعيان وحلقة العزابة

وتمثلت اعلى سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية داخل وادي ميزاب في حلقه العزابة التي تعتبر المؤسسة الدينية المذهبية ومجلس الاعيان الذي يمثل عشائر القصور السبعة

[1] احمد بن هطال(التلمساني)، 2004 م، ص18.

[2] يوسف (بن بكير)، مرجع سابق، 2014م، ص79.

هذه الهيئات كانت تدير الشؤون العامة وتصدر الاحكام وتفصل في الخصومات والجنايات دون اي تدخل او وصاية من القاضي العثماني الحنفي في العاصمة او بهيئة الاقاليم[1] بشكل مستقل وتسيير الحياة اليومية النظافة وتوزيع مياه الأمطار والسيول وعبقرية الهندسة وصيانة السواقي التي اسندت الى مجالس العشيرة.

ثانيا: خلو المنطقة من المنشآت العسكرية والحاميات العثمانية

على عكس المدن التلية او الواحات القريبة التي خضعت مباشرة لسيطرة عسكرية ولم يقم العثمانيون ببناء اي قلاع او سكنات او منشئات عسكرية ابراج حراسه داخل قصور نظام السبعة كما لم تشهد المنطقة وجود اي حاميه عسكريه تركيه دائما وهو مظهر قاطع على سيادة المنطقة واستقلالها اقليميا وعسكريا واستقلال اقليمها عسكريا.

كما لم تشهد المنطقة تعيين اي مسؤول تركي او كرغلي من طرف الداي فلم يكن هناك آغا او قائد او حاكم عثماني يمثل السلطة المركزية وكان اعيان مزاب يخاطبون السلطة العثمانية في العاصمة ككيان محلي مستقل عبر المراسلات والوفود الرسمية المتبادلة بين المجلس الاعلى لوادي مزاب وديوان الداي. [2]

استقلت تماما التشريعات والقوانين الصادرة في الاقليم بموجب القرارات العرفية المكتوبة لبني نظام محليا عن القوانين عن قوانين السلطة العثمانية الصادرة من دار السلطان وشمله النظم العقارية والسكنية والمائية توزيع مياه السيول والاحوال الشخصية حيث ساقها المجتمع المزابي بما يتوافق مع مذهبه الاباضي[3]، كما لم يدرج سكان وادي ميزار ضمن قبائل الرعية

[1] يوسف الحاج سعيد بن (بكير)، مرجع سابق، ص48.

[2] محمد علي (دبوز)، مرجع سابق الجزء الثالث عهد العثمانيين بالجزائر مطبعه البعث قسنطينة الجزائر، ط 1، 1980، ص 162- ناصر بالحاج بن احمد، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة، مطبوعات جمعيه التراث، غرداية (الجزائر)، 2005، ص142.

[3] ناصر بالحاج بن احمد، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة، مطبوعات جمعية التراث، غرداية (الجزائر)، 2005، ص142.

المطالبة بدفع الضرائب العثمانية الدورية وحافظ الاقليم على نظام مالي داخل مستقل لا داره اوقافه واملاكه واقتصرت علاقته المالية بالمركز على مبالغ رمزيه وهدايا تقدم طواعية لحكام بايلك الشرق لتامين الخطوط البريه شكل الطبيعة الصحراوية لوادي ميزاب وعزلته الجغرافية درعا طبيعيا عزز هذا الاستقلال، اذ كان صعب على السلطة العثمانية تسيير حملات عسكريه لإخضاع اقليم بعيد جغرافيا مما جعل الطرفان يفضلان الاستقلال الذاتي للمنطقة كما ادل تماسك الاجتماعي، كما ادى التماسك الاجتماعي والالتزام بالمذهب الاباضي الى صد اي محاوله للاختراق الاداري او الثقافي العثماني فقد كان يرى المجتمع المزابي في الحفاظ على استقلاله المحلي حمايه لهويته الدينية والاجتماعية من الذوبان في المذهب الحنفي الرسمي للإيالة العثمانية. [1]

المبحث الثالث: النشاط الاقتصادي لواد مزاب (الفلاحة- التجارة)

تميز النشاط الاقتصادي بوادي ميزاب خلال العهد العثماني بخصوصية فريدة حيث نجح السكان في تحويل البيئة الصحراوية القاسية إلى قطب اقتصادي حيوي ارتكز على التكيف مع الظروف الصعبة للمنطقة واعتمد على التنظيم المحكم والتكامل بين الفلاحة الواحاتية وتجارة القافلة بعيدة المدى حيث شهدت منطقة واد ميزاب خلال القرنين السادس عشر والتاسع عشر حركية اقتصادية متميزة من نوعها بالرغم من شح الموارد الطبيعية ووعورة المنطقة لم يكن الاقتصاد المزابي في هذه الفترة معزولا بل شكل شبكة حيوية ربطت بين الصحراء الكبرى وشمال الجزائر (الإيالة العثمانية) وقد قام هذا النظام الاقتصادي على ركيزتين أساسيتين تمثلت في الفلاحة والتجارة.

[1] ناصر الدين (سعيدوني)، النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني (1792- 1930 م)، دار البصائر النشر والتوزيع الجزائر، ط3، 2007م، ص117.

أولا: الفلاحة النظام الواحاتي وهندسة المياه

اعتمدت الفلاحة في وادي ميزاب على تنظيم واستغلال ذكي للموارد الشحيحة وتمثلت في زراعة النخيل حيث شكلت العمود الفقري للاقتصاد، الواحات في ميزاب ولم تكن مجرد نشاط زراعي بل كانت المورد الأساسي للسكان والمادة الأولى المقايض بها في الأسواق التجارية لتأمين المواد التي تفتقر اليها البيئة الصحراوية[1]، قام الفلاح المزابي باستغلال المساحات الأرضية الواقعة تحت ظلال النخيل لزراعة الحبوب كالقمح والشعير وبعض الخضروات والاشجار المثمرة مثل التين والرمان والعنب وذلك لتحقيق حد ادنى من الاكتفاء الذاتي للمنطقة[2]، ونظرا للمناخ الجاف وغياب المجاري المائية الدائمة اعتمدت الفلاحة على حفر مئات الآبار في الصخر ونزح المياه الجوفية بالطرق التقليدية كما ابتكر سكان الوادي نظاما لمياه الامطار والوديان الموسمية وذلك لبناء السدود التحويلية الصغيرة وتوزيع المياه عبر قنوات دقيقة السواقي تصل الى الواحات وفق شبكة توزيع بالغة التعقيد. [3]

وخضع توزيع المياه لسلطة عرفية صارمة تحت إشراف أمناء السيول حلقة العزابة وذلك لحل النزاعات الفلاحية حيث وضعت قوانين دقيقة تحدد نصيب كل واحد وقصر بناءا على عدد النخيل وحجم المساحة لمنع الاحتكار وضمان الاستقرار في المنطقة[4]، واقتصر تربية الماشية على الماعز والاغنام داخل الواحات والاعتماد على التبادل مع البدو الرحل للحصول على اللحوم والصوف[5].

---

[1] ابراهيم بن يحيى الشيخ الجرادي، 1990، الحرف والحرفيون بمدينه الجزائر 1700-1830م، مقارنه اجتماعية واقتصادية الجزء الأول، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دوله في التاريخ حديث عائشة غطاس، 2000-2001.

[2] وليام سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر تعر وتقديم عبد القادر زبادية الجزائر دار القصبة للنشر، 2006، ص83 – 82.

[3] يوسف (بن بكير): تاريخ بني ميزاب مرجع سابق، ص ص 118-120.

[4] أبو القاسم (سعدالله): تاريخ الجزائر الثقافي ج2 دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص310.

[5] ناصر الدين (سعيدوني): دراسات في الملكية دار الغرب، بيروت، 1986، ص142.

ثانيا: التجارة الداخلية والخارجية

النشاط التجاري للمزابيين في العهد العثماني شهد تغييرا جوهريا حيث حولها من مناطق معزولة إلى همزة وصل تجارية كبرى تتمثل في تجارة القوافل حيث تحول واد ميزاب بحكم خاصة قصر غرداية بحكم موقعه الاستراتيجي الى احد اهم مراكز التجارة القوا فيلية في العهد العثماني حيث كان محطة لربط اسواق افريقيا جنوب الصحراء وبلاد السودان بحواضر شمال الجزائر وتونس وتمثلت حركة التجارة الخارجية في جلب الذهب والعاج وريش النعام والملح والتمور من الجنوب ومقايضتها بالسلع القادمة من الشمال والبلاد الأوروبية والحبوب والزيوت والأقمشة والسكر والنحاس[1]، كما اندفعت أعداد كبيرة من المزابيين نحو هجرات مؤقتة بهدف ممارسة التجارة والحرف كانت حركة هجرة بني ميزاب لها خصوصيتها ولا تقارن بغيرها من الهجرات فقد كانت منتظمة في منطقة الميزاب بمدنها السبع غرداية العاتق والقرار بونوره هي منطقه –فقيره لا توفر امكانات العيش فكانت الهجرة اضطرارية والنزوح نحو مناطق التل و الشمال وتذكر بعض المصادر ان الوجود الميزابي في مدينة الجزائر يعود الى فترة سابقة على عام 1541م، وقيل إنهم شاركوا في نحر الحملة الاسبانية التي قادها شارل الخامس عام 1571م[2].

وقد حظي المزابيين بوضع قانون واقتصاد متميز في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حيث تنظم في جماعة تجاريه قويه لها نظام داخلي صارم يحمي مصالحهم ويساهم في نقل أموال التجارة لدعم عائلاتهم في الجنوب وقد عينت السلطة العثمانية رجلا من أعيان المزابيين يعرف بالأمين يمثلهم أمام السلطة وحل النزاعات بينهم وكان لهم في دار السلطان نقابتهم ووضعهم مختلف عن بقية البرانية وكانت لهم عقود ملكية لمحلاتهم السكنية والمهنية، وهذا ما ذكره يوسف بن بكير في مرجعه تاريخ بني ميزاب نقلا عن عمار بن

[1] أحمد توفيق(المدني): حياة كفاح (مذكرات)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص89.

[2] عائشة (غطاس) الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830م، مقاربة اجتماعية واقتصادية ج1، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث 2000–2001، ص304.

خروف ان جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر كانت من الجماعات المهمة التي نشأت فيها في العهد العثماني والتي كان لها وزنها المال والتجاري فيها ودورها الفعال في النشاط الاقتصادي في المدينة إن لم تكن اهمها على الاطلاق...».

كان لبني ميزاب دور اقتصادي مهم امتلكوا العديد من الحوانيت التجارية التي اتخذها مسكنا لهم وقاموا بتسيير والحمامات والمطاحن وتجارة التوابل والاقمشة، واستطاعوا احتكار اداره الحمامات في مدينة الجزائر وشكلها غالبية النجارين والحدادين.

وارتبطت التجارة والصناعة المنزلية بنشاط نسيجي كثيف قادته النساء داخل البيوت في قصور مزاب حيث ركزنا على صناعة المنتجات والاغطية والبرانس والتي كان الرجال يسوقونها في الاسواق المحلية او يتبادلونها مع البدو الرحل مقابل مواد خام كالصوف. [1]

يقول الشيخ القرادي أن للمزابيين مكانة مرموقة ومواقف مشهودة في العهد العثماني لحماية تجارتهم وممتلكاتهم ابرموا اتفاقا مع الحكام الأتراك في الجزائر مما شكل أول وثيقة رسمية تربط الصحراء بالسلطة المركزية عن رضا وطواعية [2].

[1] حنيفي (هلايلي)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1 الجزائر، دار الهدى للنشر، 2008، ص169.

[2] بكير بن سعيد(القرادي)، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ج1، المطبعة العربية، غرداية ص133.

خلاصة الفصل الثاني:

بناء على ما تم رصده في هذا الفصل نخلص إلى أن علاقة وادي ميزاب بالسلطة العثمانية في الجزائر لم تكن علاقة خضوع مطلق أو اندماج كلي بل خضعت للاستقلالية الذاتية المشروطة مقابل التزامات جبائية اقتصادية متبادلة وقد نجح المجتمع الميزابي بفضل حنكة مؤسساته العرفية كحلقة العزابة ومجلس عمي السعيد في الحفاظ على خصوصيته المذهبية ونظامي الاجتماعي والسياسي الداخلي وبناء جسور تعاون تجاري وأمني مع ايالة الجزائر وهذا جعل المنطقة فاعلا اقتصاديا حيويا في ربط الصحراء بالتل الجزائري طيلة العهد العثماني وهذا التميز التاريخي والاجتماعي لواد ميزاب خلال العهد العثماني لم يكن بمعزل عن اهتمام المؤرخين والرواد الجزائريين في القرن العشرين الذين بحثوا في التاريخ الركائز لدعم الهوية الوطنية ومقاومة المد الاستعماري الفرنسي وفي طليعة هؤلاء يبرز المؤرخ أحمد توفيق المدني الذي التفت بقلمه نحو هذه المنطقة بعناية خاصة ومن هذا المنطلق يرتكز الفصل الموالي على دراسة وادي ميزاب من خلال ما صوره المدني حيث سأقوم فيه بتشريع وتحليل المادة التاريخية والجغرافية والاجتماعية التي قدمها المدني في مؤلفاته خاصة كتاب الجزائر حول منطقة ميزاب والهدف ايضا تفكيك خلفيات خطابه ومعرفة كيف وظف تاريخ هذه المنطقة ثم نقد وتحليل لها.

الفصل الثالث:

وادي ميزاب من خلال ما صوره أحمد توفيق المدني

المبحث الأول: واد ميزاب من خلال ما كتبه المدني

المبحث الثاني: نقد وتحليل أحمد توفيق المدني

تمهيد:

تمثل منطقة وادي ميزاب نموذجا فريدا في الجغرافيا البشرية والتاريخية للجزائر نظرا لما تتمتع به من خصوصية اجتماعية وعمرانية ومذهبية وقد قام رواد الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر بجهود فكرية لإعادة كتابة التاريخ الوطني ودحض الأطروحات الاستعمارية وقد حظي الجنوب الجزائري عامة ووادي ميزاب خاصة باهتمام بالغ من طرف المؤرخ والمناضل الشيخ احمد توفيق المدني ويهدف هذا الفصل الى تسليط الضوء على الصورة التي رسمها أحمد توفيق المدني بمنطقة ميزاب في مؤلفاته لا سيما في أثره المرجع كتاب الجزائر وسأحاول من خلال المبحث رصد الأبعاد الجغرافية والعمرانية والاجتماعية التي وثقها المدني لهذه المنطقة للانتقال في المبحث الثاني الى قراءه نقديه تحليليه لمنهجه واستكشاف الخلفيات الايديولوجية والوطنية التي وجهت قلمه وكيف ساهم في دمج هذه المنطقة ضمن النسيج الموحد للهوية الجزائرية.

المبحث الأول: بني مزاب من خلال ما كتبه أحمد توفيق المدني

تتبوأ كتابات المؤرخ والمناضل الجزائري الشيخ احمد توفيق المدني اهميه بالغه في قراءة التاريخ الجزائري الحديث وذلك لاعتماد على استنطاق الوثائق الرسمية والمراسم التاريخية التي تبين ملامح الدولة قبل الاحتلال ومن بين الأقاليم التي حظيت بعناية خاصة في مدونته التاريخية تظهر منطقة وادي مزاب خلال العهد العثماني حيث أفرد لها مساحة تحليلية و المتتبع لكتابات أحمد توفيق المدني يجد أنه وضع صوره واضحة ومحدده للعلاقة بين السلطة المركزية في ايالة الجزائر ومجتمع واد ميزاب المدني لم يؤرخ لميزاب كإقليم معزول بل صوره كعنصر فاعل وحيوي في البنية العامة للدولة الجزائرية طيلة الفترة العثمانية إلى غاية 1830م بناء على هذا يتناول المبحث تحليل بان صوره ودونه أحمد توفيق المدني عن منطقة وادي ميزاب خلال الفترة العثمانية وتفكيك التاريخية للمدني.

أولا: الوصف الجغرافي والعمراني للمنطقة

صور احمد توفيق المدني واد ميزاب كمعجزة إنسانية تحدث الطبيعة الصحراوية القاسية حيث ركز في كتابته على عبقرية المزابيين في تهيئة هذا هذه الطبيعة القاسية ووصف القرى السبع القصور باعتبارها قلاع حضارية مبنية على اسس هندسية واجتماعية فريدة من نوعها حيث تناول المدني بالتحليل الهندسة المعمارية للمساجد والبيوت المزابية مشيرا الى بساطتها وتناسقها ومراعاتها للقيم الإسلامية مثل التكافل والحرمة والتمسك بمبادئ الإسلام مبرزا كيف تحولت هذه الهضبة الصخرية الجافة بفضل جهد المزابي الجهد المزابي الى واحات غناء ونظام ري عبقري لتوزيع المياه نظام تقسيم مياه السيول حيث استطاع السكان عبر شبكة من السدود والأنفاق العتيقة ترويض مياه السيول الفجائية وتوزيعها بعدالة بين الواحات والبساتين مما جعل من ميزاب نموذجا متميزا للاكتفاء الذاتي والتهيئة الإقليمية المحكمة فلم يكن وصف أحمد توفيق المدني لوادي ميزاب مجرد وصف جغرافي جاف

بالصور ملحمة انسانية وتحدي صارخ الطبيعة الصحراوية القاسية وكيف حول المزابي الشبكة المزابية الصخرية القاحلة الى حواضر نابضة بالحياة. [1]

ثانيا: النظام الاجتماعي (حلقة عزابه)

لم يكتفي المدني بالوصف الخارجي لمنطقه واد ميزاب بل غاص في عمق البنية الاجتماعية واستعرض بإسهال نظام هيئة العزابة المجلس الديني والاجتماعي الذي يدير الشؤون المجتمع المزابي حيث صور هذا النظام على أنه نموذج للديمقراطية المحلية والتكافل الاجتماعي المطلق وركز المدني على قيم الاستقامة ومحاربة الرذيلة والانحراف وتنظيم الأوقاف وسن القوانين والتعليم التي تميز بها المجتمع المزابي معتبرا أن تمسك الميزابيين بمذهبهم (المذهب الاباضي).

يقول أحمد توفيق المدني في هذا الصدد "ولقد كون المزابيين حضارة وعمران في هذه المراكز التي كانت من قبل قاعا صفصفا واستمر عايشين بها يعضون بالنواجذ على مذهبهم الاباضي وسط الأعاصير المحيطة بهم "الأستاذ أحمد توفيق المدني لم يكن عائقا بل كان دافعا لتمتين لحمتهم الداخلية وتكافلها واتحادهم وحفظه هويتهم العربية الإسلامية في وجه التغريب وصف المساجد بأنها ليست مجرد دور للعبادة في قرى ميزاب بل هي مراكز القيادة والقلب النابض للقرية وتتميز بمنارتها بمناراتها الهرمية الفريدة وشكلها العسكري الذي يوحي بالدفاع والتحصين واشار ايضا الى بساطه السكن المزابي الذي يخلو من الزخرفة والترف وهذا التصميم يعكس قيم المساواة الإسلامية حيث تتشابه البيوت من الخارج في مظهرها طردا للطبقية ومن الداخل بنظام يحفظ حرمة العائلة ويوفر الإضاءة والتهوية الطبيعية وهو ما يعكس حسب ما اعتبره المدني تجسيد مادي للفكر الاجتماعي والديني السليم. [2]

[1] أحمد توفيق(المدني)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية الجزائر، 1931، ص109-110.

[2] أحمد توفيق (المدني)، المرجع نفسه، ص111.

ثالثا: البعد الاقتصادي والروح العملية للمزابيين

يذكر المدني ان المزابي يمتلك روح تجارية وعملية وذكر كيف استطاع المزابيين رغم هجرتهم نحو الشمال الجزائري للتجارة ان يحافظوا على ارتباطهم الوثير بوطنهم الام الوادي حيث يعودون إليه محملين بالثروات لتطوير قراهم مبرزا صدقهم التجاري وأمانتهم سمات بارزة في الشخصية المزابية واوضح ان سبب هجرتهم هو الموارد في الوادي حيث صورها المدني صور المدني هذه الهجرة بنمط فريد لأنهم لم يقطعوا صلتهم بوطنهم الأم كما ركز المدني على قيم الأمانة والصدق والجدية التي طبعت المعاملات التجارية للمزابيين مما جعلهم يحظون بثقة واحترام كافة اطياف المجتمع الجزائري ويقول الشيخ أحمد توفيق المدني في هذا الصدد "كما كان المزابيون يهاجرون الى بلاد التل باستمرار قصد التجارة والكذب فقد اعترفت قصورهم.... عند انتصاب الاتراك بالبلاد بالتبعية للديوان وإنما كانت تبعية اسمية فقط.... فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم".[1]

بناء على ما تم تقديمه في المبحث من ملامح وصور رسمتها كتابات المؤرخ أحمد توفيق المدني لوادي ميزاب، يتضح أن تلك الكتابات لم تكن مجرد رصد تاريخي عابر، بل مثلت رؤية فكرية محملة بخلفيات المرحلة التاريخية التي عاصرها.

المبحث الثاني: نقد وتحليل أحمد توفيق المدني

وإذا كان المبحث السالف قد ركز على الجانب الوصفي واستقراء النصوص لمعرفة كيف صور المدني مجتمع ميزاب وجغرافيته، فان الامانة العلمية والمنهج النقدي يقتضيان عدم الوقوف عند حدود العرض والتسليم، من هنا يأتي هذا المبحث ليتناول تلك الكتابات بالتحليل والتشريح وذلك بميزان النقد التاريخي القائم على المقارنة والتمحيص.

[1] احمد توفيق (المدني)، 1986، ص138.

أولا: الأهداف الوطنية والسياسية في كتابات أحمد توفيق المدني

الباحث الاكاديمي يجد جملة من الملاحظات المنهجية التي تستوجب النقد والموازنة وذلك بهدف تفكيك الخلفيات الفكرية والبحث في الظروف التي وجهت قلم المدني أثناء تدوينه عن واد ميزاب ومعرفه مدى التزام المؤرخ بالحياد وتحديد مواطن الدقة او التحيز ان وجدت وتقييم كتاباته بمطابقتها مع المصادر المحلية المعاصرة له وشهادات اعيان المنطقة ومؤرخيها، والتحليل والنقد لهذه الكتابات لا يقلل من قيمتها التاريخية بل يهدف إلى غربلتها لتحديد حجم الإضافة الفكرية التي قدمها المدني للمكتبة الجزائرية حول هذا الجزء الحيوي من الوطن، المدني في مذكراته وكتابات التاريخية مارس نوع من الانتقائية حينما دمج المجتمع المزابي في النسيج الوطني.

ركز على المشتركات العامة وأغفل طمس الخصوصية الفقهية للمذهب الاباضي خوفا من ان يستغل هذا التمايز من طرف الإدارة الاستعمارية لضرب الوحدة.

وكان الهدف الأساسي المدني هو دحض أطروحات المستشرقين والحكام العسكريين الفرنسيين التي حاولت تصنيف المجتمع الميزابي كعنصر خارجي او منفصل عن الأمة الجزائرية بناء على المذهب الإباضي، حيث ركز المدني على إثبات أن نظام جزء لا يتجزأ من النسيج العربي الإسلامي للجزائر.

ثانيا: نقد أكاديمي لتوثيق أحمد توفيق المدني لتاريخ واد ميزاب

رغم نبل هدفه السياسي إلا أنه قدم تاريخ رواية تاريخية ناقصة لا تعكس عمق التطور التاريخي المستقل لمؤسسات الوادي. [1]

اعتماد على الرواية الشفوية السماعية والاعتماد على مصادر معلومات محدودة وزيارته الميدانية القصيرة وعلاقته ببعض شخصيات النخبة الإصلاحية كالشيخ بيوض

[1] عمار طالبي، آراء ومواقف في الفكر والتاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 114.

والشيخ أبي اليقظان مغفلا الرجوع إلى الوثائق القديمة المحفوظة في خزائن العزابة او قراءه الارشيف العثماني المحلي انعكست علاقته بالشيخ إبراهيم بيوض بشكل واضح على كتاباته ومذكراته، مما أوقع تحليله في أحادية المصدر.

نجد أن المدني كتب بروح المؤرخ المناضل وليس بروح الأكاديمي المحايد جاءت بعض نصوصه مشحونة بالعاطفة الوطنية والخطاب الأدبي وهو أسلوب يهدف الى التعبئة السياسية لمحاربة فرنسا أكثر من التمحيص العلمي البارد للروايات التاريخية. [1]

إسقاط مفاهيم سياسية حديثة مثل القومية والوطنية بمفهومها المعاصر على البنى الاجتماعية التقليدية والمذاهب التاريخية لوادي ميزاب مما قد يغمس التحليل المثالية التاريخية. [2]

صور المدني نظام العزابه والتكافل الاجتماعي بصورة مثالية تقترب من المدينة الفاضلة حيث ركز على غياب الجريمة ونظافة الشوارع والتسيير الذاتي المحكم، وذلك ليثبت أن للجزائريين القدرة على إدارة شؤونهم بأنفسهم دون الحاجة للتمدين الفرنسي المزيف.

وهنا كان للمدني انطباع سطحي حيث زار المنطقة كسايح او مصلح فرأى النتائج المبهرة للنظام الاجتماعي لكنه لم يتغلغل في بنية ألواح ميزاب والقوانين العرفية، وأغفل قلمه رصد الصرامة الشديدة والعقوبات القاسية مثل عقوبات الإقصاء الاجتماعي. [3]

وعند مطابقة وصف المدني مع المصادر المحلية مثل كتابات الشيخ الحاج سعيد حول تاريخ نظام وثائق مجلس العزابة يتضح الفارق بين النظرة الخارجية المدني وبين الواقع

---

[1] ناصر الدين (سعيدوني)، دراسات في الملكية العقارية والأرشيف والمصادر التاريخية بالجزائر، الجزائر، دار القصبة، 2002، ص 203.

[2] محمد (ناصر)، الشيخ بيوض والحركة الإصلاحية في ميزاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991، ص 88.

[3] أبو القاسم (سعد الله) الحركة الوطنية الجزائرية، ج م 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص 310 – 312.

الداخلي الذي يصف النظام كمنظومة تشريعية دقيقة صارمة تواجه تحديات داخلية وخارجية للحفاظ على بقائها. [1]

كما ركز المدني على عبقرية الإنسان المزابي في قهر الطبيعة ووصف بدقة هندسة الواحات وشق قنوات وبناء السدود مثل نظام تقسيم المياه في غرداية لتقديم نموذج حي للجزائري المنتج والمقاوم للبيئة، وهنا المدني أغفل التحولات الاقتصادية العميقة التي كانت تعيشها المنطقة إبان فترة وجوده مثل الهجرة التجارية نحو مدن الشمال تأثيرها على البنية الاجتماعية التقليدية للوادي. [2]

حيث جاء وصفا ثابتا يغفل حركية التاريخ وتغيرات المجتمع بالمقارنة مع الدراسات والمذكرات المحلية المعاصرة له نجد أن التدوين المحلي كان يعبر عن القلق الحقيقي من هجرة الشباب نحو الشمال وتأثرهم نمط الحياة الحديث وهو التحدي الذي يلتفت إليه المدني كثيرا في كتاباته الاستعراضية لنجاحات المجتمع المزابي. [3]

إن الاعتماد على أحمد توفيق المدني وحده يعطي صورة "عامة ووطنية" تحمي الذاكرة من التشويه الاستعماري، لكنه لا يكفي للباحث الأكاديمي المتخصص في العهد العثماني. الباحث يحتاج بالضرورة إلى إسقاط نصوص المدني على الوثائق المحلية (سجلات حلقة العزابة ومخطوطات الأوقاف) وفك شفرة المصطلحات الاقتصادية (كاللَّزَمَة والتجارة المقيدة) عبر دراسات سعيدوني والمؤرخين المحليين للوصول إلى حقيقة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لوادي مزاب في تلك الفترة. [4]

[1] عبد الله (العروي)، مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 4، 2005م، ص 73.

[2] محمد صالح (ناصر)، المجتمع المزابي الهجرة التجارية نحو الشمال وآثارها 1830، 1962م، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 94 .

[3] يوسف (بن بكير الحاج سعيد)، تاريخ بني مزاب، غرداية الجزائر 1998، ص 65 –66.

[4] مجموعة باحثين، جمعية التراث معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب وادي ميزاب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ج 2، ص–112–115.

خلاصة الفصل الثالث:

ما نخلص إليه في ختام هذا الفصل أن التحليل النقدي يؤكد أن أحمد توفيق المدني في معالجته لتاريخ وادي ميزاب في العهد العثماني جاء محكوم بإيديولوجية وطنية استهدفت الرد على الطروحات الاستعمارية التفكيكية حيث نجح في ابراز جوانب لكنه أغفل جوانب أخرى استدعت طرح ثغرات منهجية تمثلت في الاسقاط التاريخي للمفاهيم السياسية المعاصرة على واقع تلك الفترة والمبالغة في تصوير الانسجام التام مع السلطة العثمانية.

الخاتمة

خاتمة:

تأسيسا على الإشكالية المطروحة والأسئلة الفرعية التي وجهت لهذه الدراسة، واعتمادي على المدونة التاريخية للمؤرخ والمصلح" أحمد توفيق المدني "خلصت في ختام هذا البحث إلى جملة من النتائج اثبتت الدراسات ان العزلة الجغرافية لوادي مزاب شكلت عاملا حاسما دفع بالمجتمع المحلي لابتكار نظام حلقة العزابة كبنية تنظيمية واجتماعية مستقلة ومتكاملة لإدارة شؤونه وضمان استمراريته.

كما تم التحقق من أن العلاقة بين وادي ميزاب والسلطة العثمانية قامت على المرونة مما وفر للمنطقة استقرار سياسي أدى إلى ازدهار نشاطها الاقتصادي القائم على الفلاحة والتجارة تبين أيضا من خلال تفكيك المصادر المعتمدة خاصة كتاب الجزائر وحرب الثلاثمائة سنة أن مقاربة أحمد توفيق المدني تخطت الوصف التقليدي، حيث قدم قراءة نقدية معمقة بينت العمق الحضاري والمدني لبني مزاب وربطت إقليمهم بالروابط السياسية والاقتصادية للجزائر في العهد العثماني هذه النتائج تفتح آفاق لإعادة قراءة البنيه الاجتماعية والسياسية للمناطق الصحراوية ودورها في صياغة الهوية الوطنية والتاريخ الجزائري المشترك

مكنتنا هذه الدراسة من فتح آفاق جديدة أرحب لإعادة قراءة البنية الاجتماعية، الثقافية والسياسية لمنطقة وادي ميزاب بشكل خاص والمناطق الصحراوية بشكل عام وذلك لما لها من دور في صياغة الهوية الوطنية والتاريخ المشترك للجزائريين.

يمكن اعتبار آثار أحمد توفيق المدني خصوصًا كتاب "الجزائر وحرب الثلاثمائة سنة" من أهم مصادر ليس لتاريخ منطقة وادي ميزاب بل لتاريخ الجزائر للعهد العثماني.

استخلصنا من قراءتنا لآثار أحمد توفيق المدني وقراءته المتميزة لمنطقة وادي ميزاب أن هذه القراءة جاءت محكومة بمرجعية ايديولوجية ووطنية استهدفت في المقام الأول الرد على الطروحات الاستعمارية مبنية على نظرية التفرقة والتفكيك داخل هذه المنطقة وبين

المنطقة وباقي مناطق الجزائر، وكان لهذه الرؤية بعض الآثار السلبية متمثلة في تغطية بعض الجوانب خصوصًا ما تعلق بالعلاقة ما بين هذه المنطقة والسلطة العثمانية والتي لم تكن في بعض الأحيان على ما يرام.

بعد أن أنهينا دراستنا تمكنا من رصد النتائج التالية:

- أن العزلة الجغرافية لمنطقة وادي ميزاب كانت عامل حاسمًا في دفع سكان المنطقة والمجتمع المحلي إلى ابتكار نظام التنظيم أو تنظيم اجتماعي متكامل ومستقل لإدارة شؤون المنطقة.

- تميزت منطقة وادي ميزاب بنوع من الاستقرار السياسي وازدهار نشاطها الاقتصادي القائم أساسًا على التجارة وبشكل أقل الفلاحة.

- كانت علاقة وادي ميزاب بالسلطة العثمانية علاقة تكاد تكون مستقرة تقوم على المرونة والتفاهم مما ساهم في استقرار المنطقة من جهة وازدهارها الاقتصادي من جهة ثانية.

- كانت مقاربة أحمد توفيق المدني للمنطقة مقاربة متميزة تخطت الوصف أو السردية التقليدية إلى القراءة النقدية المعمقة حيث مكنت هذه القراءة من الولوج إلى العمق التاريخي والحضاري لمنطقة وادي ميزاب وبذلك تمكن أحمد توفيق المدني إلى بناء تصور حقيقي للمنطقة من خلال رسم البنى الاجتماعية والثقافية لوادي ميزاب وربطها سياسيا واقتصاديا للجزائر.

- أثبتت الدراسة أن المدني لم يكن مؤرخا معزولا بل وظف كتاباته التاريخية كأداة المقاومة الثقافية وتثبيت الهوية الوطنية العربية الإسلامية ضد سياسات الطمس الاستعماري.

- أثبت البحث ان هدف المدني الاساسي من الكتابة عن العهد العثماني خاصه في كتابه عن الداي محمد عثمان باشا هو دحض المزاعم الغربية التي روجت بان الجزائر كانت مجرد مستعمره عثمانية محرومة من الحضارة.

- ركز المدني على ابراز العهد العثماني كفترة تشكل وتثبيت للدولة الجزائرية الحديثة ذات السيادة السياسية والخارجية والحدود الجغرافية الواضحة.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم 1: خريطة لموقع وادي ميزاب



المصدر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري

الملحق رقم 2: صورة أحمد توفيق المدني



المصدر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

الملحق رقم 3: غلاف كتاب "الجزائر"



الملحق رقم 4: حواضر وادي ميزاب عبر التاريخ

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
المعنوان: حواضر وادي مزاب عبر التاريخ. ص.ص 810- 838.



المصدر: مجلة المواقف للبحوث والمجتمع والتاريخ، مج17، جانفي 2017.

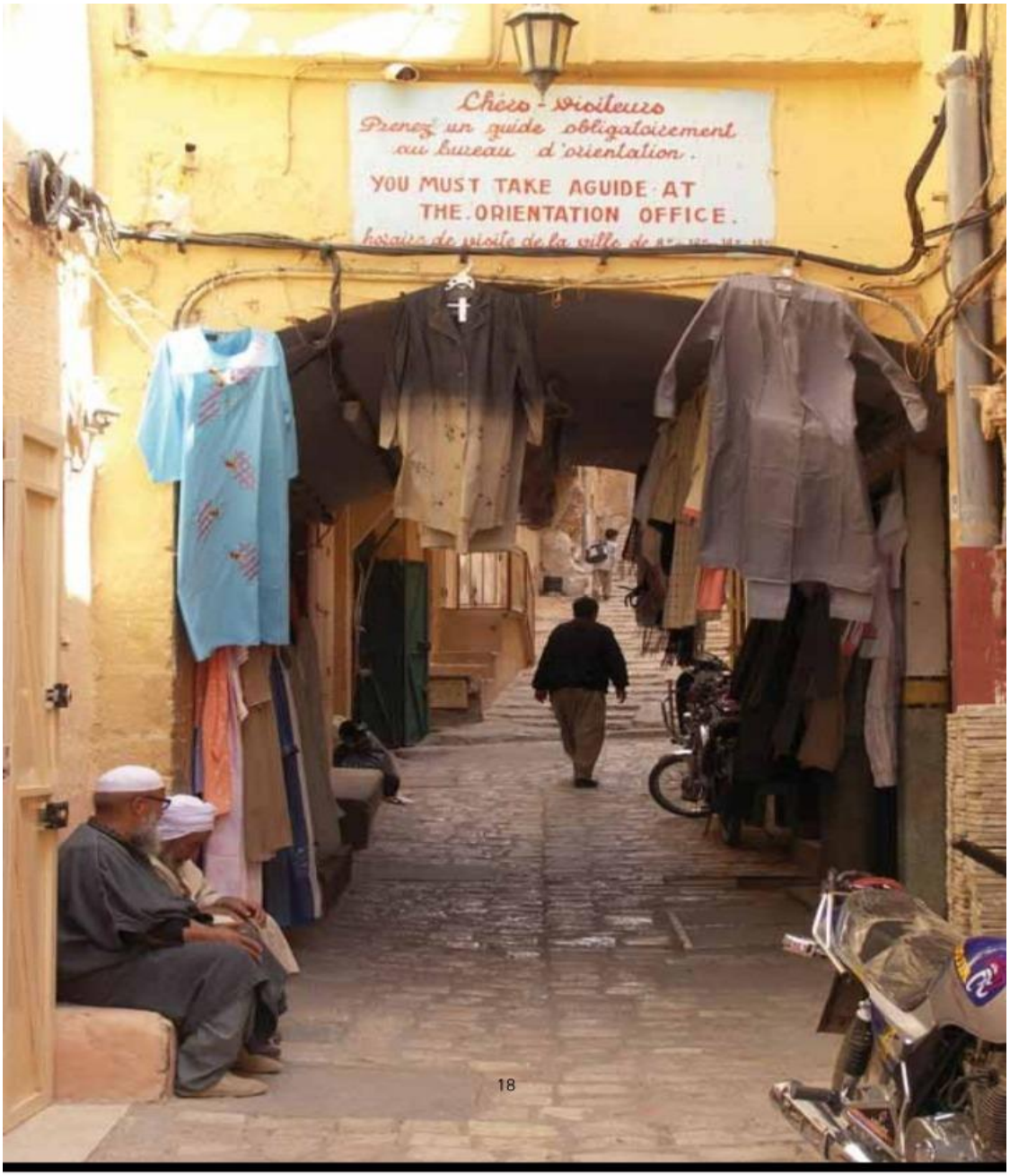
الملحق رقم 5: نقوش حجرية تؤكد علاقة الانسان الامازيغي في بلاد الشبكة





13

الملحق رقم 6: قصور وادي ميزاب



قصور وادي ميزاب Les ksour de la vallée du M'Zab

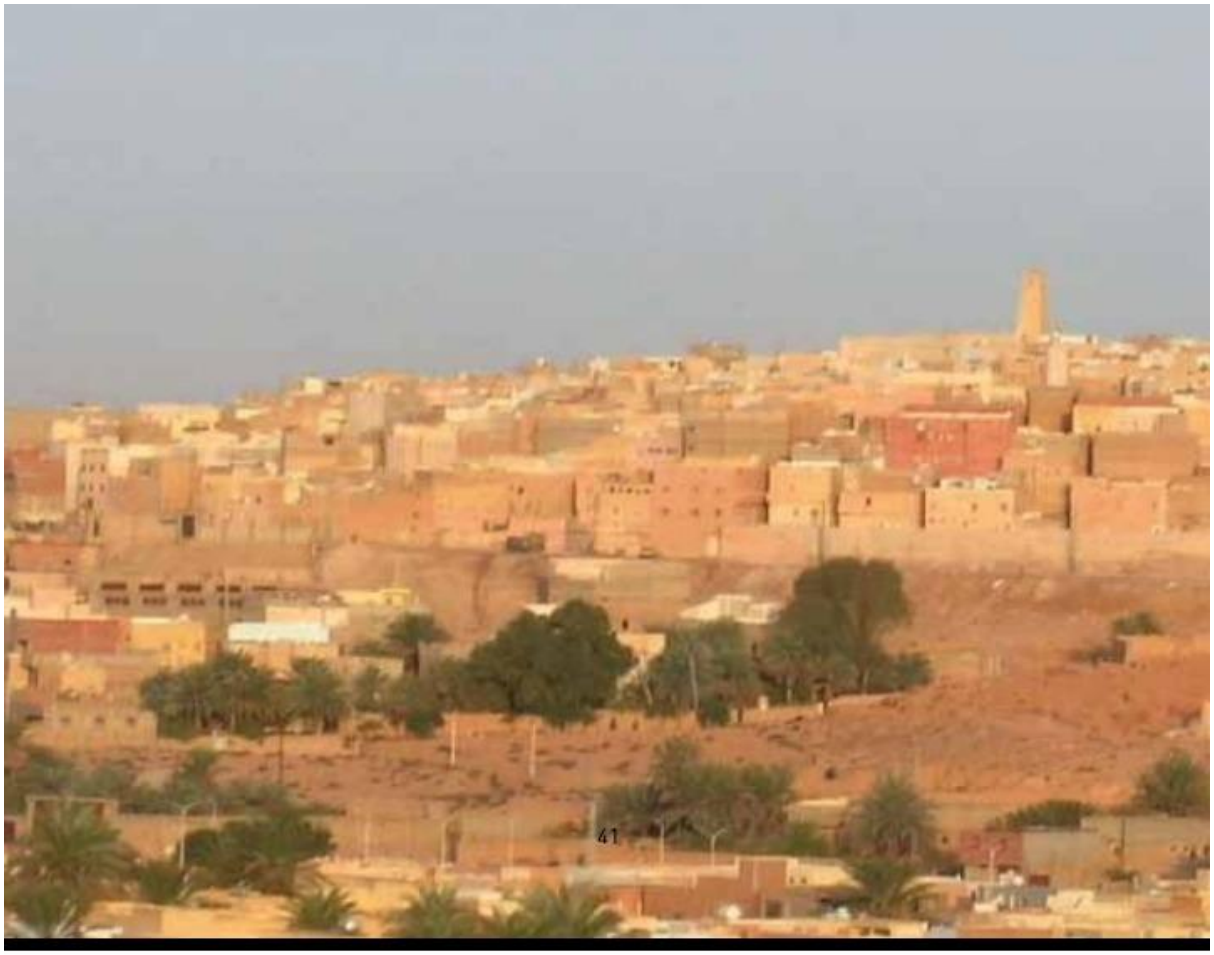
الملحق رقم 7: العمارة الدفاعية والدينية في قصور واد ميزاب (مسجد ومئذنة العطف القديمة)





43

الملحق رقم 8: مصلى الشيخ سيدي عيسى (قصر مليكة)



مصلى الشيخ سيدي عيسى

يقع مصلى (فضاء الصلاة) الشيخ سيدي عيسى بالمقبرة التي تحمل اسمه والواقعة شمال قصر مليكه.

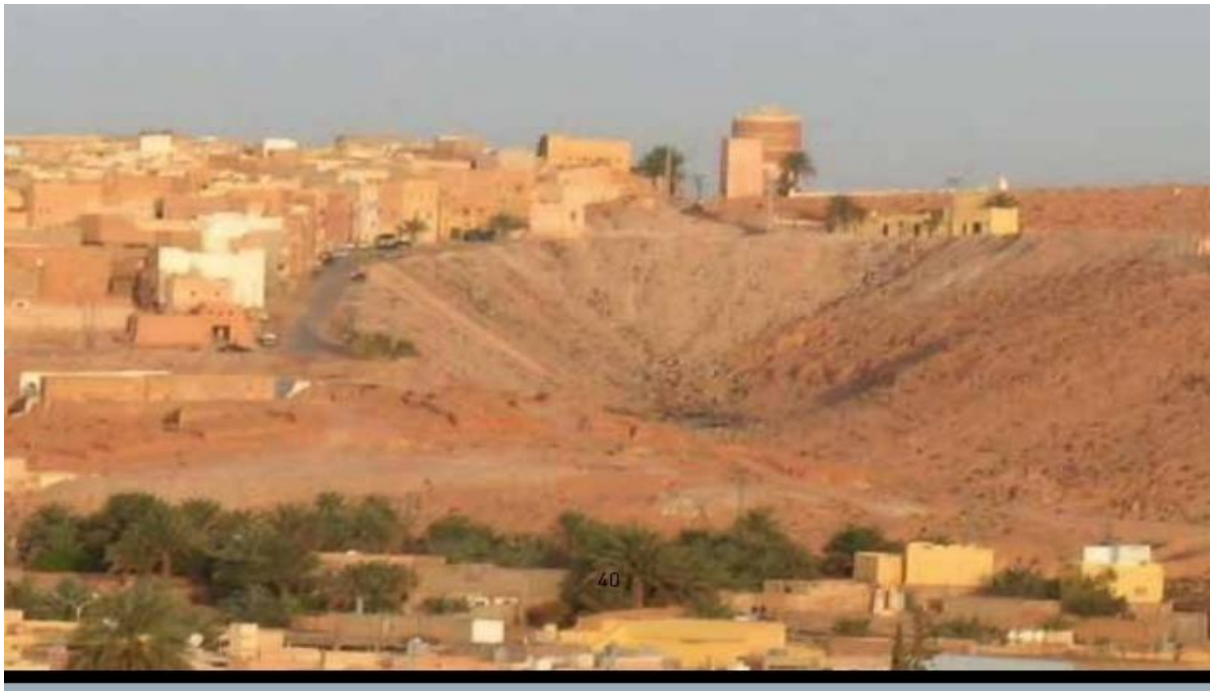
وهو عبارة عن فضاء للصلاة غير مغطى، به أضرحة الشيخ وعائلته، ويتميز بأشكال هندسية وفنية رائعة، ويشرف على وادي ميزاب كما يوفر للزائر مناظر شاملة على المنطقة.

Le mausolée « Cheikh Sidi-Aissa »

Le mausolée (aire de prière) « Cheikh Sidi-Aissa » se trouve au nord du ksar de Mélika.

C'et un espace de prière à l'air libre, avec les tombeaux du cheikh et de sa famille, qui forment une œuvre architecturale et artistique admirable.

Il domine la vallée du M'Zab et donne au visiteur une vue d'ensemble sur la région.



مليكه (آت أمليشت)

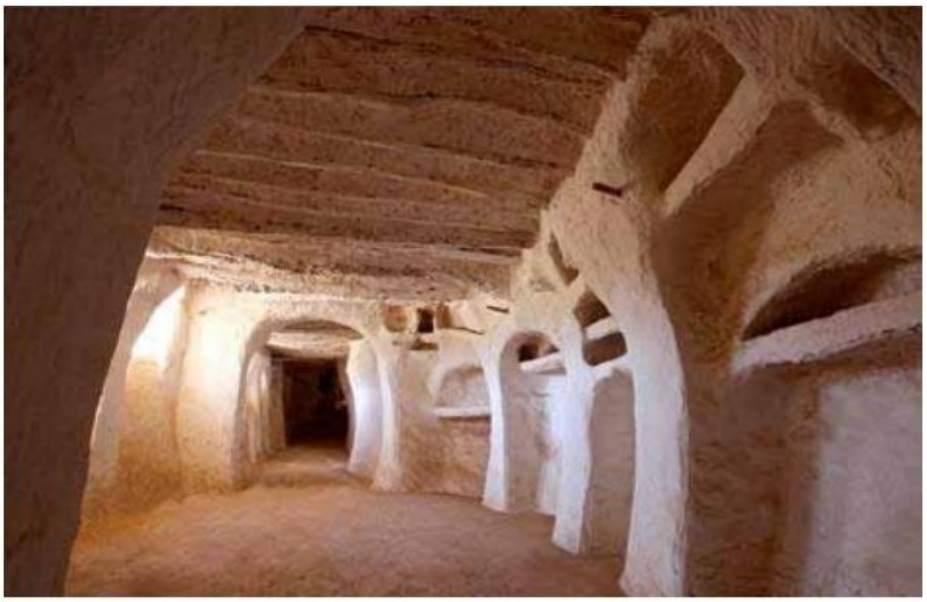
يتميّز قصر مليكه (آت أمليشت بالميزابية) عن بقية قصور وادي ميزاب بموقع ساحة السوق بمحاذاة المسجد العتيق.

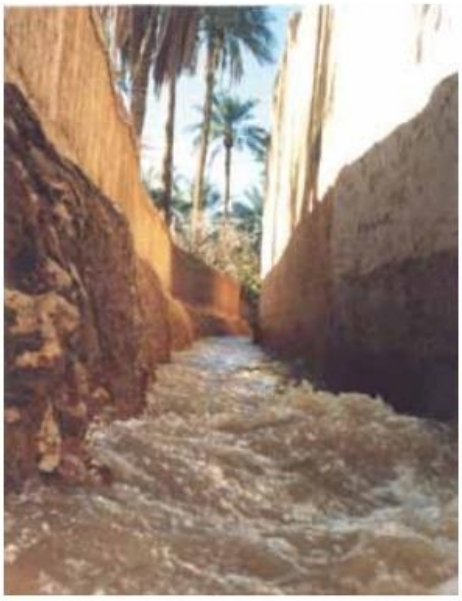
وقد يكون هذا راجع لانبساط القصر فوق جبل مرتفع بخلاف بقية القصور، كذلك المحافظة على الموضع الأول للسوق رغم التوسعات العمرانية للقصر.

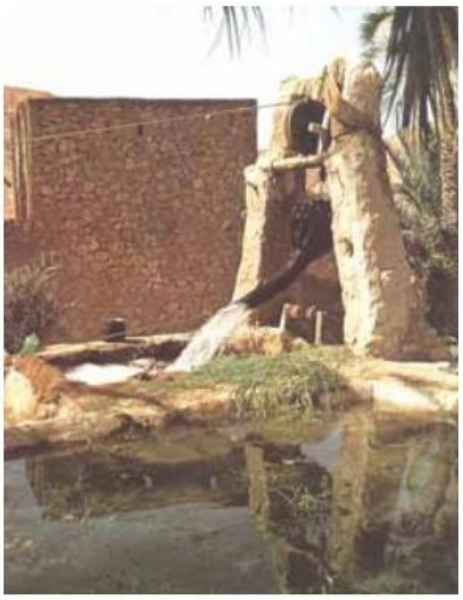
تأسس القصر سنة 1350م، تحيط به بنايات تحصينية على الواجهات وتتخلله عدة أبواب، من أهمها «باب أميدول» و«باب بنطراش».

كما تشتهر ببعض المصليات الجنائزية كمصلى «الشيخ باعبد الرحمان الكرثي» ومصلى «الشيخ سيدي عيسى».

الملحق رقم09: نظام توزيع مياه السيول







35

الملحق رقم10: مصلى الشيخ عمي السعيد







33

مصلى الشيخ عمي سعيد

يقع المصلى في المقبرة التي تحمل اسم «الشيخ عمي سعيد» في الناحية الشرقية لقصر غرداية بالضفة المقابلة. بني على يد الشيخ سعيد بن علي بن يحي بن يدر الجربي المشهور باسم الشيخ عمي سعيد، بعد قدومه إلى مزاب خلال سنة 1500م.

حيث جعله الشيخ مقرا للتدريس، كما أصبح بعده مقرا للمجلس التشريعي المحلي والذي سمي باسمه (مجلس الشيخ عمي سعيد).

يتكون المسجد من قسمين، قاعة للاجتماعات وقاعة للصلاة أسفل منها، يربط بينهما رواق.

Le mausolée Ammi-Saïd

Le Mausolée de Cheikh Ammi Saïd est situé à l'est du ksar sur l'autre rive de l'Oued.

Le cimetière fût construit par Ali ben Yahia ben Ider El-jerbi, plus connu sous le nom de « Cheikh Ammi Saïd », à son arrivée au M'Zab vers l'an 1500 de l'ère Chrétienne.

Ce mausolée sera d'ailleurs le lieu d'enseignement du Cheikh, et sera après sa mort utilisé comme Siège du Conseil Spirituel du M'Zab portant son nom (conseil Ammi -Saïd).

La mosquée est constituée de deux parties, une salle de réunions, et une autre pour la prière en dessous, séparées par un couloir.

الملحق رقم 11: قصر تغردايت



غرداية (تغردايت)

قصر غرداية (تغردايت بالميزابية) يعد عاصمة وادي ميزاب، وهو الأهم من ناحية الهياكل الاجتماعية والاقتصادية، تأسس سنة 1048م.

يشتهر قصر غرداية بساحة سوقه، وبعض المصليات الجنائزية كمصلى «الشيخ عمي سعيد» ومصلى «الشيخ بابا والجمة» وغيرها من المعالم.

الملحق رقم 12: قصر آت بنور



بنورة (آت بنور)

تأسس قصر بنورة (آت بنور بالميزابية) سنة 1046 م.

يشتهر بمسجده العتيق وبواجهته الدفاعية ومساكنه المحصنة.

وقد عرف توسعا بعد اندثار جزئه العلوي الذي يمثل القصر القديم، ولا تزال آثاره قائمة إلى اليوم، وهو محاط بسور دفاعي تتخلله أبراج المراقبة.

يتوسط القصر مسجد قديم، كما يوجد أيضا بضواحيه المصلى الجنائزي «الشيخ بادحمان» وغيرها من المصليات.





25

Bounoura (At Bounour)

Bounoura (At Bounour en berbère) fût fondée en 1046 ère Chrétienne.

Bounoura est connue pour sa vieille mosquée ainsi que de son front et maisons remparts.

Le ksar a vu son extension après la disparition de sa partie supérieure que constitue l'ancien ksar.

Des vestiges du vieux ksar subsistent toujours.

Le vieux ksar est protégé par un mur d'enceinte interrompu ça et là par des tours de guet.

Nous trouvons au centre du ksar une vieille mosquée, ainsi qu'un mausolée dans sa périphérie « Cheikh Bâ-Dahmane », et divers autres mausolées.

الملحق رقم 13: تلزضيت





23

Le ksar Talezdit

Le ksar Talezdit se trouve au sud-est du ksar d'El-Atteuf, à environ six kilomètres. Situé au dessus d'une colline, fût construit un fort dont certaines parties des murs subsistent à ce jour.

قصـر تلزضيت

بني القصر جنوب شرق قصر العطف، على بعد حوالي 6 كيلومترات، وعلى قمة الهضبة، وهو على شكل حصن لا تزال أجزاء من سوره قائمة إلى اليوم.

الملحق رقم 14: مصلى الشيخ عمي براهيم



مصـلى الشيخ عمي ابراهيم

يقع المصلى جنوب قصر العطف داخل مقبرة الشيخ إبراهيم بن مناد الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن تاريخ بنائه كان بعد وفاته، وحسب أرجح الأقوال خلال القرن الثالث عشر.

يتجه المصلى طوليا نحو القبلة (الجنوب الشرقي) ويحيط به فضاء مكشوف.

وتعتبر هندسته من روائع العمارة بميزاب حيث شدّت انتباه العديد من الباحثين والمعماريين مثل لوكربيزي.

Le Mausolée de Cheikh Ami Brahim

Le mausolée se trouve au sud du Ksar d'El-Atteuf à l'intérieur du cimetière de Cheikh Ami Brahim ibnou Manade qui vécut au 12ème siècle chrétien, mais la construction date d'après sa mort, et vraisemblablement au 13ème siècle.

Le mausolée est orienté en longueur vers la Mecque et est entouré d'un espace découvert.

L'œuvre reste une icône en matière de beauté et de simplicité architecturale, elle retiendra d'ailleurs l'attention de nombre d'architectes et autres chercheurs urbanistes tel Le Corbusier.

الملحق رقم 15: العطف (تاجنينت)



العطف (تاجنينت)

العطف (تاجنينت بالميزابية) تأسس سنة 1012م على يد خليفة بن أبغور.

وقد كان المحطة الأولى لانطلاق حركة عمرانية عبر وادي ميزاب مبنية على أسس وقواعد عمرانية فريدة من نوعها.

يشتهر قصر العطف ببعض المصليات الجنائزية كمصلى الشيخ عمي ابراهيم ومصلى أوخيرة وغيرها من المعالم.

الملحق رقم 16: قانون مليكة (نظام الأعراس)



٨٠

قانون مليكة

ما وجد من فقه وفديم يعتبر مسبك مليكة من خط سيدي
قد اتفق طلبة مليكة وعواد على ما يعمل بلاد مليكة فقرا وغنا:
اول ذلك من مهر العزابة والطلبة جعلوا غرامة سبعة ريالات
كريمية سواء كان شتمه اوضربه او عاري فيما لا يعقد:
وهذا كله سواء كان فيلقته او من غيره: والنصارى عامين الجن اكبر وجد
تونس
والعزابة ليس عندهم عشرة وهم عشرة الله وكذلك من غدع احد بابه وسط
البلد او السوق او بغير وشهد عليه موفل شهادة شاهد الا في او جلاه
او فلا يفتدع هذا بيت ضربه ويعطى خمسة وعشرين ريالا هكذا عليه:
واتبعوا على اللهو واللعب وترك الحنا للحشاه او العرس او الدواه او اتيا
الحطب الربط الحنا متروك ومن تعدى بذلك ويعطى خمسة وعشرين ريالات كريمية
ويغرم الطلبة سوى كان حر او عبدا او كبيا:
ومن استدخل داره لهوا او لعبا ويغرم الطلبة ويعطى خمسة وعشرين ريالات
سواء كان عرسا او ختانا او الوادة ومن كان عدة على عشرة واراد
ان يادنه وردعليه احد من قبيلة اخرى يعطى الغرامة خمسة وعشرين
ريالا ومن وقع عبدا اهنيه او يغرمه سواء كان عبدا او موسا او دبوزا
بمسامير او سبوعة ولم يغرمه غرامته خمسة وعشرين ريالا وان ضربه
يعطى خمسين وبالا ويمشي من البلاد ينفى وان مات ومات يعطى ما جنى
ويقال وينفى من البلاد الى يوم القيامة وهذا الاتفاق عليه اوايل اجداد الاخرين
واما من اتى بالنصيحة ان صحت جدا لو وان لم تصح يعطى غرامة عشرة وعشرين
كريمية ومن حضر بعد الاتفاق اول الكاتب والثاني باحد عشر اجزاء عبد: واحد
بكر بن حمو: وباب عيسى بن احمد بن داد: باسه: والحاج عمر بن اسماعيل العراد: واحد
ابن اسماعيل والحاج عيسى بن حمو البحار: وحمو بن عيسى بن داد جلاص: واحد
ابن حمو بن الحاج موسى: ومن الاعواد المغدمان كانه بن حمو بن باب: وباب والجمع
ابن عيسى بن باسعود البحار: وباب عيسى بن الحاج: وباله بن باعمر
وكاتب بن حمو: وسليمان بن احمد بن الحاج: وباعلم بن عيسى بن احمد: والحاج
عيسى بن باحو بوشلاخ: والحاج بن داد بن الحاج ابركي: وحمانة بن عزيز الحاج
وباب عيسى بن حمو بن سليمان التونسي وكاتب الحو وعبد العزيز بن
صالح بن حمو بن داد: ومن يعمل شي من هذا الامر فان يلومنا الا نفسه:

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

أولا: المصادر العربية

1-ابن الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983 م.

2-ابن خلدون، عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، عمان- الاردن، د.ت.

3-ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، 1970.

4-ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت1968.

5-أحمد توفيق المدني المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

6-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ط خ، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

7-الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهابية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، المطبعة العصرية، تونس، 1975.

8-المزاري، الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسعة عشر تحقيق ودراسة د.يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

ثانيا: المراجع

الكتب:

1-أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج م 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1992

2-أبو القاسم، سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي (ج 7)، 1830-1954، ط1، دار الغرب الإسلامي.

3-الاطلس العالمي المعهد التربوي الوطني الجزائري، جيولوجيا الجزائر، الجيولوجيا عبد المالك النحال.

4-بالحاج، قاسم بن أحمد، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1157هـ/ 1744م الى 1382هـ/ 1962 م، ط1، المطبعة العربية غرداية، 2011 م.

5-بن بكير، يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ط 4، المطبعة العربية غرداية 2017م

6-بن قينة عمر، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، دط، .

7-بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 2007.

8-حقي، إحسان، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1961م، ط1.

9-دبوز، محمد علي تاريخ المغرب الكبير ج 1 مؤسسة تاوالت الثقافية ليبيا، 2010.

10-سعيدوني، ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية والأرشيف والمصادر التاريخية بالجزائر، الجزائر، دار القصبة، 2002.

11-الشيخ ابو عمران، معجم مشاهير المغاربة الملكية للطباعة والنشر ط، 2 2010، الناشر مؤسسة صونيا م.

12-الصديق، محمد، الصديق شخصيات فكرية وأدبية، هذه مواقفنا من ثورة التحرير، دار الأمة للنشر والتوزيع.

13-عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني، النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899م-1983م د. ج، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.

14-العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 4، 2005م.

15-غطاس، عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 2700-1800 مقاربة إجتماعية إقتصادية.

16- كواتي مسعود تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى، دط، دارهومة، دت.

17- مجموعة باحثين، جمعية التراث معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب وادي ميزاب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000 ج 2.

18-محمد ناصر، الشيخ بيوض والحركة الإصلاحية في ميزاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.

19- الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د.ت، 2014.

20-وليام سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر تعريب وتقديم عبد القادر زبادية الجزائر دار القصبة للنشر 2006.

الرسائل الجامعية:

1-ابن زكري، حمو، انشاءات الراي التقليدية بمنطقة واديميزاب (قصر غرداية نموذجا)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2014/ 2015.

2-أميرة (بوعزيز)، ايمان(عبدي)، احمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925- 1954 مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام جامعة 8 ماي 1945 قالمة 2016 2017.

3-دحماني، بلقاسم، العمارة والعمران ببلاد المغرب في القرنين الخامس والسادس هجري، من خلال كتاب القسمة وأصول الإباضيين (قصور سهل وادي ميزاب نموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، جامعة الجلفة، سنة 2018- 2019.

4-دودو، مصطفى، نظام تقسيم واستغلال مياه السيل بوادي ميزاب عوامل وآليات المحافظة رسالة ماجستير في الصيانة والترميم، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2015م.

5-رباحي، مصطفى، الأوقاف الإباضية، دراسة حالة الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب غرداية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي التربوي، اشرف: محفوظ سماتي، جامعة الجزائر، 2007م.

6-زدك، ابراهيم، الحركة العلمية في منطقة واد ميزاب ما بين القرنين 10-13ه/16-19م، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019م.

7-محمد جودي، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية في الجزائر" دراسه تحليليه مقارنه للقصور ميزاب ورقلة "اطروحة الدكتوراه علوم، تخصص علم الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2013- 2014 م.

المجلات:

1-عزب خالد، السياسة الشرعية وفقه العمارة، الحدود الفاصلة والمشتركة، مجلة وحدة الدراسات المستقبلية، ع 14.

مراجع أجنبية:

1-Abel André Coyne: Le Mzab, Adolphe Jourdan, Alger, 1987.

الفهرس

فهرس المحتويات

شكروعرفان
إهداء
قائمة المختصرات
مقدمة .....أ

الفصل التمهيدي
التعريف بأحمد توفيق المدني

1-النشأة والتكوين العلمي: 10
2-وفاته: 13
3-مؤلفاته: 13

الفصل الأول
الإطار الجغرافي والتاريخي لواد ميزاب

المبحث الأول: الموقع الجغرافي وأهميته: 18
المبحث الثاني: تطورواد ميزاب عبر التاريخ 21
المبحث الثالث: النظام الاجتماعي (حلقة عز ابه) 25

الفصل الثاني
منطقة واد ميزاب خلال العهد العثماني

المبحث الأول: طبيعة علاقة واد مزاب مع السلطة العثمانية 33
المبحث الثاني: مظاهر و أبعاد الاستقلال الذاتي المحلي لمنطقة واد ميزاب 36
المبحث الثالث: النشاط الاقتصادي لواد مزاب (الفلاحة- التجارة) 38

الفصل الثالث
وادي ميزاب من خلال ما صوره أحمد توفيق المدني

المبحث الأول: بني مزاب من خلال ما كتبه أحمد توفيق المدني 45
المبحث الثاني: نقد وتحليل أحمد توفيق المدني 47
الخاتمة 52
الملاحق 56
قائمة المصادروالمراجع: 76
الملخص
Abstract

الملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على الخصوصية التاريخية بمنطقة واد ميزاب، وتبرز التطور الجغرافي والبنية الاجتماعية القائمة على نظام "حلقة العزابة"، كما تبحث في طبيعة علاقة المنطقة بالسلطة العثمانية وأبعاد استقلالها الذاتي ونشاطها الاقتصادي وتعتمد الدراسة بشكل أساسي على تفكيك ونقد وتحليل مؤلفات المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني ورصد طريقة تصويره لملامح الاستقلال الذاتي والحياة الاقتصادية في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: واد ميزاب–بلاد الشبكة–حلقة العزابة–أحمد توفيق المدني–العهد العثماني.

Abstract:

This study sheds light on the historical specificité of the M'zab Valley region.It highlights the geographical développement and social structure based on the “Halaqat al-Azzaba”system. It also examines the nature of the region's relationship with the Ottman.

authority,and the dimensions of its autonomy and economic activity.Thestudy,relies mainly on deconstructing,analyzing,and critiquing the works of the Algerian historian Ahmed Towfik Al -Madani,tracing his depiction of the features if autonomy,and economic life in the region.

Key words: M’zab Valley, Bilad Al shabaka, Halaqat al-Azzaba, Ahmed Toufik Al -Madani, The Ottoman Era


تم بحمد الله